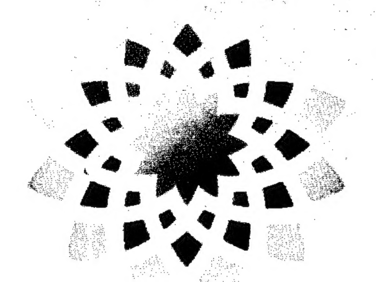


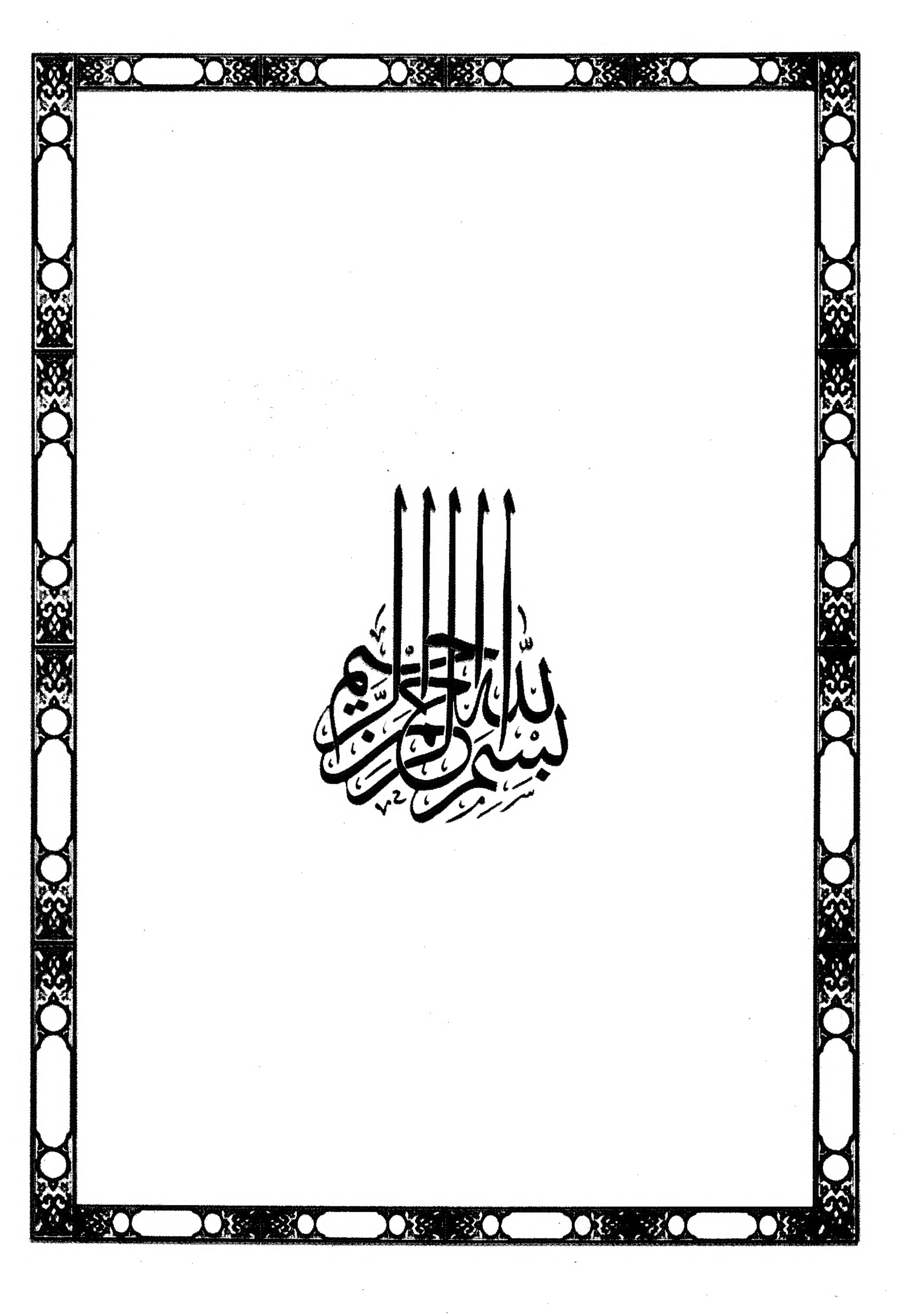
كلُّ حديثٍ في خمس خِصال

تَرغيب وَترهيب - مأمُور وَمحذُور - مُباح وَمحظُور
أخلاق حَميدَة، وَأخرَى ذَميمَة - عقائِد وَآداب
أحكام وَسُلوك - وَرع وَزهْد - وَعظ وَإرْشاد - نُصْح وَتوجيه

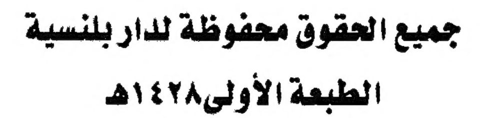


بقلم الأستاذ الدكتور
صالح بن غانم السدلان
أستاذ الدراسات العليا - قسم الفقه
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

بلنسية


بسم الله الرحمن الرحيم


أربعون حديثاً
كلُّ حديثٍ في خمس خِصال



الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ

ⓒ دار بلنسية للنشر والتوزيع ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السدلان ، صالح بن غانم

اربعون حديثاً في خمس خصالٍ /صالح بن غانم السدلان

الرياض، ١٤٢٧ هـ

٢٠٠ صفحة، ١٧ × ٢٤سم

ردمك: ٢-٤-٩٦٣٩-٩٩٦٠

١ـ الحديث الصحيح ٢- الحديث-شرح أ ـ العنوان ب-السلسلة

ديوي ٢٣ ٧,٧ ٦٠٢٣/ ١٤٢٧

رقم الإيداع: ٦٠٢٣/ ١٤٢٧

ردمك: ٢-٤-٩٦٣٩-٩٩٦٠



دار بلنسية للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - شارع عثمان بن عفان

ص.ب ٥٧٢٤٢ - الرمز البريدي ١١٥٧٤ - هاتف: ٤٥٤٧٥٤٩ فاكس ٢٦٣١٤٩١

الرياض ٠٥٠٤٢٥١٢٩١ - الغربية ٠٥٠٣٢٠٣٦١٢

القصيم والشرقية ٠٥٠٤١٢٤٩٦٨ - الشمالية ٠٥٠٥٢٩٨٩٣٤

Email:blanciagroup@hotmail.com

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فها نحن ـ بحمد الله وتوفيقه ـ نقدم لك أيها القارئ الكريم في هذه السلسلة المباركة العدد الرابع، وهو بعنوان: «أربعون حديثاً، كل حديث في خمس خصال» ويليه العدد الخامس قريباً ـ بإذن الله تعالى ـ وهو بعنوان: «أربعون حديثاً كل حديث في ست خصال».

وستتوالى هذه السلسلة المباركة تباعاً ـ بإذن الله ـ ما دام في العمر بقية. نسأل الله أن ينفع بها، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، إنه نعم المجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المؤلف

١ الحديث الأول

أركان الإسلام

عَن ابْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»[١].

لغة الحديث:

«إِقَامُ الصَّلَاةِ»: إقامتها وإدامتها، وحذفت تاء الإقامة عند الإضافة للإطالة[٢]

إِيتَاءُ الزَّكَاةِ : إعطاؤها[٣]

معنى الحديث:

خلق الله الخلق لعبادته، قال ـ عز وجل ـ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٤]، وضمن ـ سبحانه ـ لهم رزقهم في هذه الحياة الدنيا قال ـ تعالى ـ: ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[٥]، وجعل ـ سبحانه ـ الإيمان به قطب رحى السعادة في الدنيا والآخرة، وقد عُلم أن الرسلَ جميعَهم بُعثوا بالإسلام المتضمن استسلامَ الوجه لله وصدق العبودية

---

(١) رواه البخاري ٨ ومسلم ١٦ .

(٢) تحفة الأحوذي ٦/ ٤٥ .

(٣) تحفة الأحوذي ٦/ ٤٥.

(٤) الذاريات: ٥٦ .

(٥) الذاريات: ٥٧ـ ٥٨ .

والانقيادَ له، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾[1]، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾[2] [3]. والإسلام له أسس وأركان، من أقامها وعمل على تأديتها بحقها كما أُمِر بها فقد حقق معنى الإيمان. وفي هذا الحديث يستهل النبي ﷺ حديثه ببلاغة نبوية تجلت في صورة واضحة، حيث وضح معنى الإسلام بأنه يقوم على خمس قواعد بالبناء الحسي الملموس وبأنه قائم على خمسة من الأعمدة، من أخلَّ بواحدة منها فقد أخل بالبناء كلِّه!!.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «ورأس الإسلام هو شهادة أن لا إله إلا الله، وله ضدان الكبر والشرك، ولهذا رُوي أن نوحاً ـ عليه السلام ـ أمر بنيه بلا إله إلا الله وسبحان الله، ونهاهم عن الكبر والشرك»[4].

وبنطق المرء الشِّطر الثاني يكون قد أقر بنبوة نبينا محمد ﷺ، وبأنه خاتم الأنبياء والمرسلين منفذاً ـ بالسمع والطاعة ـ كَلَّ ما يأتي به من أمر أو نهي، فهو المبيِّن والمفصِّل لكيفية عبادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ. **قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ**: «والمعنى ألا نعبد إلا الله وألا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بعبادة مبتدعة»[5].

وتأتي الصلاة بعد الشهادتين مباشرة، وهي التطبيق العملي الأول لهما،والصلاة شأنها عظيم، وفضلها كبير، وقد ورد ذكرها في القرآن في أكثر من

---

(١) المائدة: ٤٤.

(٢)يونس : ٨٤.

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٧/ ٦٢٣.

(٤) المرجع السابق ٧/ ٦٢٣.

(٥) المرجع السابق ١/ ٣١٠.

سبعين موضعاً، منها ما يربو عن عشرين موضعاً بلفظ الأمر بإقامتها، والصلاة في حقيقها عبادة وأمان وطمأنينة من الشرور والمخاوف.

ثم يأتي رُكْنٌ يُختَبرُ به المرء في ماله، ألا وهو الزكاة، فالبذل والعطاء وتقديم مراد الله ـ عز وجل ـ ورسوله ﷺ من أصول الإسلام وأركانه، وهي فرض ثابت بالكتاب والسنة، وقد ذكرت الزكاة في القرآن الكريم فيما يربو على خمس وعشرين آية، وقد ذكرت مقرونة بالصلاة في عشرين موضعاً تفيد الأمر بهما، وقد وردت مع الصلاة في البيعة فعن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ[١]، قال الزين بن المنير: «إن بيعة الإسلام لا تتم إلا بالتزام إيتاء الزكاة، ومانعها ناقض لعهده مبطل لبيعته، فهو أخص من الإيجاب؛ لأن كل ما تضمنته بيعة النبي ﷺ واجب، وليس كل واجب تضمنته بيعته، وموضِعُ التخصيص: الاهتمام والاعتناء بالذكر دون غيرها من الفرائض[٢].

وأما في الحديث فقد اقترنت الصلاة والزكاة في كثير من الأحاديث، دون ذكر الصوم والحج، مع أنهما من الأركان أيضاً؛ قال ابن حجر العسقلاني: «لأن الصلاة عبادة بدنية والزكاة عبادة مالية فمن أداهما أدى بقية الأركان لاشتقاق جميع الأعمال منهما، فالصوم عبادة بدنية، والحج عبادة بدنية ومالية، ولأن الصلاة والزكاة إذا وجبا على المكلف لا يسقُطان عنه أصلاً بخلاف الصوم فإنه يسقط بالفدية، وأما الحج فإن الغير قد يقوم مقامه فيه»[٣] ويسقط بعدم الاستطاعة،

---

(١) رواه البخاري ١٤٠١، ومسلم ٥٦ .

(٢) فتح الباري ٣/ ٢٦٧ .

(٣) فتح الباري ٣/ ٣٦١.

ولهذا ورداً في الأركان بعدهما، وقد ورد في بعض الروايات للحديث مقدَّماً الصوم على الحج تارة والحج مقدماً تارة أخرى[١].

والحج هو الركن الرابع هنا: والحج فرض ثابت على المستطيع[٢] قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٣]، وهو ركن الإسلام، وفضله عظيم، وأجره وفير، وهو من أفضل الأعمال وأجلها، ومن حَسُن حجه غفرت ذنوبه وعاد كيوم ولدته، أمه قال الرسول ﷺ: «مَنْ حَجَّ للهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[٤]، وأجره الجنة، ففي الحديث: «الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»[٥]، أما من استطاع ولم يحج خيف عليه الموت على غير الإسلام[٦].

وخامس هذه الأركان هو «صَوْمُ رَمَضَانَ» والصوم قد خص ـ سبحانه وتعالى ـ به نفسه، قال الرسول ﷺ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَة ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»[٧]، فالصوم مطهر للنفس ومُصِحٌّ

---

(١) راجع صحيح البخاري ٨، ومسلم ١٦ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٣/ ١٦٣ .

(٣) آل عمران : ٩٧.

(٤) رواه البخاري ١٥٢١، ومسلم ١٣٥٠ .

(٥) رواه البخاري ١٧٧٣، ومسلم ١٣٤٩ .

(٦) مجموع الفتاوى ١٤/ ٢٠٢.

(٧) رواه البخاري ٥٩٢٧، ومسلم ١١٥١ .

للبدن، وهو ستر ووقاء وحماية، فمن صام فعلى جميع جوارحه أن تتوافق مع صوم بطنه وشهوته، ففي الحديث قال ﷺ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ»(١).

وقد تواترت الأحاديث في فضل صيام رمضان وأن من صام رمضان إيمانا واحتساباً غفر ذنبه «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٢) فهذه الأركان من أداها بحقها فقد حقق معنى الإسلام وله الأجر من الله ـ عز وجل ـ ومن زاد عليها من تطوع فقد أراد تقرباً ووصالاً ورضاً من الله ـ تعالى ـ.

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ هذا الحديث أصل في معرفة الدين وعليه اعتماده؛ فإنه قد جمع أركانه.

٢ ـ جواز ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأفهام حيث شبه المعنوي وهو: "أركان الإسلام" بالحسي وهو: "البيت" فكما أن البيت يتم بأركانه فكذلك الإسلام يتم بأركانه، وهي خمس، ووجه الشبه أن البناء الحسي إذا انهدم بعض أركانه لم يتم فذلك البناء المعنوي.

٣ ـ من أتى بهذه الخمس فقد بنى دينه على أساس متين، ومن لم يأت بها فهو كافر أو فاسق بحسب ما تركه منها.

---

(١) رواه البخاري ١٨٩٤ ومسلم ١١٥١ .

(٢) رواه البخاري ٣٨، ومسلم ٧٦٠ .

٢
الحديث الثاني
فضلُ الإيمان والتلازمُ بينه وبين العمل

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيمَانٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ: مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ عَلَى وُضُوئِهِنَّ وَرُكُوعِهِنَّ وَسُجُودِهِنَّ وَمَوَاقِيتِهِنَّ، وَصَامَ رَمَضَانَ، وَحَجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَأَعْطَى الزَّكَاةَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ قَالُوا: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ وَمَا أَدَاءُ الْأَمَانَةِ قَالَ الْغُسْلُ مِنْ الْجَنَابَةِ»[١]

لغة الحديث :ـ

طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ: فلا يستكثر كثيراً ولا يعطي منها شيئاً إلا وهو مستقل لها[٢].

مَوَاقِيتِهِنَّ: أي في أوقاتهن المختارة[٣].

معنى الحديث :ـ

عفو الله وجنتهُ غايةُ ومطمعُ كلِّ مؤمن لهما يعمل وإليهما يسعى؛ فيتقرب إلى ربه بما أمر ويجتنب ما نهى عنه وزجر.

وقد بيّن لنا النبي ﷺ كلَّ ما يقربنا من سعادة الدنيا والآخرة؛ فيرغِّبُ تارة ويأمر تارة، وينهى تارة أخرى، وفي هذا الحديث يبين لنا ﷺ أن من المأموراتِ الخمسُ الواجبات من جاء بهن بإخلاص لله ـ سبحانه وتعالى ـ مؤمناً بيوم الحساب أدخله الله الجنة، بل إن العمل بالنية مصروف وراجع إليها، فعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ

---

(١) حديث حسن ، انظر: صحيح سنن أبو داود للألباني ٤٢٩ وصحيح الترغيب والترهيب ٣٦٩ .

(٢)النهاية في غريب الأثر ٢/ ٩٤.

(٣) عون المعبود ٢/ ٦٧.

بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»(١).

وأول هذه الأمور: الصلوات الخمس، والصلوات الخمس فرضها الله على كل مكلف من مسلم ومسلمة وإن من حافظ عليها بأدائها على الوضع الذي أُمر به من وقت وطهارة وكيفية وخشوع دخل الجنة.

وثاني هذه الأمور: صيام شهر رمضان بإخلاص تحقيقاً لشرط الإيمان المذكور في هذه الأعمال في بداية الحديث بقوله ﷺ «خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيمَانٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، واحتساب الأجر من الإيمان، وقد عنون الإمام البخاري باباً في صحيحه فقال «بَاب صَوْمُ رَمَضَانَ احْتِسَابًا مِنْ الْإِيمَانِ»(٢) وفضل الصيام عظيم؛ فقد صح عن رَسُولِ اللهِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٣)؛ فصوم رمضان عمل لا يكون إلا مرة في العام، وقد اختص الله ـ سبحانه وتعالى ـ به نفسه فعلى المرء أن يخلص في نيته وأن يحتسب أجره وأن ينعكس إيمانه على خُلُقه؛ في بيعه، وشرائه، ومعاملته، وكلامه، يقول الرسول ﷺ: «قَالَ الله كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِّ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»(٤) فمن

---

(١) رواه البخاري ١ .

(٢) صحيح البخاري بَاب صَوْمُ رَمَضَانَ احْتِسَابًا مِنْ الْإِيمَانِ .

(٣) صحيح البخاري ٣٨ .

(٤) صحيح البخاري ١٩٠٤ .

أداه حسب ما كُلِّفَ به بإخلاص نال موعود ربه على لسان رسوله ﷺ ألَا وهو الجنة.

وثالث هذه الأمور: «حَجُّ الْبَيْتِ إِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»؛ فالحج لمن قدر عليه بالنفقة والقدرة البدنية وأداه بإخلاص لله على الهيئة المأمور بها سبيل لدخول الجنة فهو مكفر للذنوب وسبب لنيل مغفرة علام الغيوب، وفي الحديث عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ حَجَّ للهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجِعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[١] أما فضله؛ فعظيم ومن أداه فقد غنم وسَلِمَ، ونال أعلى درجات أفضل الأعمال وهو الجهاد؛ فعَنْ عَائِشَةَ أم المؤمنين ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ تَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ أَفَلَا نُجَاهِدُ قَالَ«لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ»[٢].

ورابع هذه الأمور: إعطاء الزكاة بطيب نفس وانشراح صدر؛ فلا يستكثر كثيراً، ولا يعطي منها شيئاً إلّا وهو مستقلٌ لها[٣]؛ فالزكاة ركن من أركان الإسلام، وفرائضه العظام، قواعده التي بني عليها، وهي واجبة على المسلم بشروطها[٤].

أما خامس هذه الأمور: فقد بينها أَبو الدَّرْدَاءِ ـ رضي الله عنه ـ لما سئل عنها بقوله: «الْغُسْلُ مِنْ الْجَنَابَةِ»؛ فالأمانة في الأصل كما قال الإمام ابن الأثير: (تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والأمان[٥]) والجَنَابَةُ اسْمٌ شَرْعِيٌّ يُفِيدُ

---

(١) صحيح البخاري ١٥٢١ .

(٢) صحيح البخاري ٢٧٨٤ .

(٣)النهاية في غريب الأثر ٢/ ٩٤ ، وعون المعبود ٢/ ٦٩.

(٤)رواه البخاري ٥٧.

(٥)لسان العرب ١٣/ ٢٢، وعون المعبود ٢/ ٦٩.

لُزُومَ اجْتِنَابِ الصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَمَسِّ الْمُصْحَفِ وَدُخُولِ الْمَسْجِدِ إِلَّا بَعْدَ الِاغْتِسَالِ[١]، أما ذكرها كناية عن غسل الجنابة ففيه إشارة إلى الأمانة في إتقان الغُسْلِ نفسِه وإتمامه على الوجه الذي أُمر به وكذلك الأمانة تشمل سبب الجنابة بأن يكون سببها من طريق حلال كما شرع الله ـ تعالى ـ.

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ إخلاص العمل لله بنية صادقة شرط من شروط الإيمان.

٢ ـ عظم شأن الصلاة والصوم والحج والزكاة والأمانة وجميع فرائض الإسلام وآدابه.

٣ ـ في الحديث إثبات معجزة من معجزاته ﷺ وأنه يعلم بإعلام الله له.

٤ ـ وجوب سؤال الإنسان عن أمور دينه ومعرفة ما يشكل عليه فهمه.

٥ ـ الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح.

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٣٧٤.

٣ الحديث الثالث

من خصائص النبي ﷺ وفضل أمته على سائر الأمم

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»(١).

لغة الحديث :

الرُّعْبِ: الانقطاع عن امتلاء الخوف وتصور الامتلاء منه قيل رعبت الحوض ملأته ويكنى به عن التهديد، وقال ابن المظفر: الرُعْب الخوف وتقول: رعِبَ فلاناً رَعْباً ورُعْباً أي فزِعَ(٢).

المغَانِمُ: ما أُخِذ من الكفار بالقتالِ وإيجافِ الخيلِ والرِّكابِ والمقصودُ أخذُها قهراً(٣).

الشَّفاعَة: «هي السؤال في التَّجاوُزِ عن الذُّنوبِ والجرائِمِ»(٤). وقيل في تعريفها: «هِيَ سُؤَالُ الخَيْرِ لِلْغَيْرِ»(٥).

---

(١) رواه البخاري ٣٣٥ ومسلم ٥٢١ .

(٢) التعاريف ص ٣٦٧ ، وتهذيب اللغة ٢/ ٢٢٢ .

(٣) تحرير ألفاظ التنبيه ١/ ٣١٧ .

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢/ ٤٨٥

(٥) لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢/ ٢٠٤.

معنى الحديث:

بُعِث نبينا محمد ﷺ بالمعجزات القاطعة والخصائص الباهرة والفضائل العديدة.

ولا غرو! فهو الرحمة المهداة، والنعمة المزجاة، وهو ﷺ خير البشر عرَباً وعَجَماً؛ مدحه رب السموات والأرض في أعظم الكتب في غير ما آية من الآيات، فهو سيد الأولين والآخرين؛ وفي الحديث يقول ﷺ عن نفسه: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»[1] وقد خص الله ـ عزوجل ـ نبيَّنا محمداً ﷺ بخصائص لم ينلها أحدٌ من الأنبياء غيرَه ومن هذه الفضائل قوله ﷺ: **«أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي»**، وفي روايةٍ لِمسلم «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ» «بستٍّ، فذكر أربعاً من هذه الخمس وزاد ثنتين...» ومن لا يرى مفهوم العدد حجة يدفع هذا الإشكال من أصله[2] أي أُعْطِي خمس خصال[3] لم تُجمعْ لأحد من الأنبياء غيرِه ﷺ، وهذا ليس على سبيل الحصر؛ لأن الخصائص التي فُضِّل بها ﷺ على كافة الأنبياء تفوق ذلك بكثير، ولم يُخَصَّ بالذكر في هذا الحديث غيرَ خمسٍ، يقول أبو سعيد: في شرف النبي ﷺ "الخصائص التي امتاز بها ﷺ على الأنبياء ستون خَصْلَةً" وقال صاحب الديباج: وقد تعقبتها في كتابي "الخصائص" فزادت على ثلاثمائة[4].

---

(١) حديث صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود للألباني (٤٦٧٣) وصحيح سنن ابن ماجه للألباني ٤٣٠٨ وصحيح الترغيب والترهيب للألباني (٣٦٤١) وظلال الجنة (٧٩٢) والمسند للإمام أحمد ١٠٥٨٩ .

(٢) رواه مسلم ٥٢٣ .

(٣) عمدة القاري ٤/ ٨ .

(٤) الديباج على مسلم ٢/ ٢٠١ .

وأول هذه الخصال: قوله ﷺ «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ»أي بخوف العدوّ مني بما يلقيه الله ـ تعالى ـ في قلوب الكفار "بسبب ما أشركوا بالله" مسافة شهر؛ فلم يوجد لغيره النَّصْرُ بالرعب في هذه المدة ولا في أكثر منها، ولا أقلّ. واقتصر ههنا على الشهر لأنه لم يكن بينه وبين الممالك الكبار أكثر من ذلك كالشام والعراق ومصر واليمن؛ فإن بين المدينة النبوية وبين واحدة من هذه الممالك شهراً أو دونه[1].

وثاني هذه الخصال قوله ﷺ: «وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ» أي جُعِلَتْ لي الأرض موضع سجود لا يختص السجود منها بموضع دون غيره، فكل جزء منها يصلح أن يكون مكاناً للسجود أو يصلح أن يُبْنَى فيه مكان للصلاة[2] قال القاضي عياض: «من كان قبله من الأنبياء ـ عليهم الصلاة ـ والسلام إنما أبيح لهم الصلاة في مواضع مخصوصة كَالْبِيَعَ والكنائسِ، وقيل في موضع يتيقنون طهارته من الأرض، وخُصَّتْ هذه الأمة بجواز الصلاة في جميع الأرض إلاَّ في المواضع المستثناة بالشرع أو موضع تُيُقِّنَتْ نجاسته، فإن قلت: كان عيسى ـ عليه السلام ـ يسيح في الأرض ويصلي حيث أدركته الصلاة قلت ذكر «مسجداً وطهوراً» وهذا مختص بالنبي ﷺ حيث كان يجوز له أن يصليَ في أي موضع أدركته الصلاة فيه، وكذلك التيمم منه ولم

---

(١) عمدة القاري ١٤/ ٢٣٥ ، تحفة الأحوذي ٥/ ١٣٥ ، وفيض القدير ١/ ٥٦٤ ، والتيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ١٧١.

(٢) فتح الباري ١/ ٥٣٣ ، وتحفة الأحوذي ٥/ ١٣٥ ، وعون المعبود ٢/ ١٠٩ ، فيض القدير ٢/ ٣٦٤ ، التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ١٧٢.

يكن لعيسى ـ عليه السلام ـ إلا الصلاة دون التيمم)[١].

وثالث هذه الخصال: قوله ﷺ «وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي» أي: ما يغنمه من غنائم المشركين أُحِلَّ له ﷺ، ولم يكن لنبي غيرِه أن يأخذ شيئاً من المغنم، **قال الإمام الخطابي:** «كان من تقدم على ضربين: منهم من لم يُؤْذَنْ له في الجهاد؛ فلم تكن لهم مغانم ومنهم من أُذِنَ له فيه، لكن كانوا إذا غنموا شيئا لم يَحِلَّ لهم أن يأكلوه وجاءت نار فأحرقته»[٢]، وصح ذلك عنه ﷺ من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أنه غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ....»؛ فذكر فيه ذلك بقوله « فَجَاءَتْ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا ثُمَّ أَحَلَّ اللهُ لَنَا الْغَنَائِمَ رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا»[٣]، فهي حلال له ﷺ ولأمته دون سائر الأنبياء وأممهم.

ورابع هذه الخصال: «الشَّفَاعَةَ» **قال ابن دقيق العيد:** «والمراد الشفاعة العظمى في إراحة الناس من هول الموقف ولا خلاف في وقوعها وبه جزم الإمام النووي والقاضي عياض وغيره»[٤]، وفي رواية أخرى: «وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ فَأَخَّرْتُهَا لِأُمَّتِي، فَهِيَ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا»[٥]، وقيل هي الشفاعة العامة التي

---

(١) عمدة القاري ٤/ ٩.

(٢)فتح الباري ١/ ٤٣٨، فيض القدير ١/ ٥٦٧، شرح السيوطي لسنن النسائي ١/ ٢١١، شرح النووي على مسلم ٥/ ٣.

(٣)رواه البخاري ٣١٢٤.

(٤)فتح الباري ١/ ٤٣٨ و وفيض القدير ١/ ٥٦٧، شرح السيوطي لسنن النسائي ١/ ٢١١، وشرح النووي على مسلم ٥/ ٣.

(٥)رواه الإمام أحمد في المسند ٢٧٣٧ .

تكون في المحشر بِفَزَعِ الخلائق إليه ﷺ، وفَصَّل ذلك الإمام النووي» بقوله: له ﷺ شفاعاتٌ خمسٌ: الشفاعة العظمى للفصل، وفي جماعة يدخلون الجنة بغير حساب، وفي ناس استحقوا النار فلا يدخلونها، وفي ناس دخلوا النار فيُخرَجون منها، وفي رفع درجات ناس في الجنة والمختص به من ذلك الأولى[١].

والخصلة الخامسة: أنه ﷺ بُعِث إلى الناس عامة، فقد أرسل ﷺ نبياً ورسولاً لقومه، ولغيرهم من العَرَبِ، والعَجَمِ بمختلف ألوانهم وأجناسهم، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾[٢]، فعموم رسالته من أصل البعثة؛ فثبت اختصاصه دون سائر الأنبياء وبهذا اختص الرسول ﷺ بخصائص دون غيره من الرسل والأنبياء تكريماً وتفضيلاً له[٣]؛ فهو المصطفى المختار ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ.

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ عموم بعثة النبي ﷺ لأنه مرسل إلى الثقلين: الإنس والجن، وفي هذا تفضيل من الله له على سائر الأنبياء.

٢ ـ سماحة شريعته ﷺ ويسرها واستجابتها لحاجات البشر على اختلاف ألوانهم وأجناسهم.

٣ ـ من خصائص بعثته ﷺ أنه أعطي الشفاعة العظمى في إراحة الناس من هول الموقف ولا خلاف في وقوعها.

٤ ـ تفضيل هذه الأمة المسلمة على غيرها من الأمم قاطبة.

---

(١) شرح النووي على مسلم ٥/ ٤، فيض القدير ١/ ٥٦٧.

(٢) سورة سبأ: ٢٨.

(٣) انظر: تحفة الأحوذي ٥/ ١٣٦

٤ الحديث الرابع

سؤال اللهِ عبدَه عن كل شيء يوم القيامة وأنَّه لَمْ يُخْلَقْ عبثاً

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ»[١]

لغة الحديث:

أَفْنَاهُ: فني الشيء فناء باد. وأفناه أي صرفه وأذهبه[٢].

أَبْلَاهُ: ضيعه[٣].

معنى الحديث:

أنعم الله ـ عزوجل ـ على الإنسان بنعم لا تعد ولا تحصى قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٤]، وما من نعمة من نعم الله إلا وهي مهيأة له لتعينه على عبادة ربه؛ فمن اتقى وأصلح فله الحسنى، ومن صد وند واتخذها هزواً فله سوء الحساب، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ

---

(١) حديث حسن، انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني ٢٤١٦، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٧٢٩٩، ومشكاة المصابيح ٥١٩٧، وصحيح الترغيب والترهيب ١٢٨، والسلسلة الصحيحة (٩٤٦).

(٢) القاموس المحيط ص ٢٩٧، مختار الصحاح ص ٢١٥.

(٣) تحفة الأحوذي ص ٧/ ٨٥.

(٤) إبراهيم: ٣٤.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[1]؛ فكل محاسب يوم القيامة على الصغير والكبير، والفتيل والقطمير، إلا خفف الله عنه الحساب، وكان وعد ربك حقاً، وفي هذا الحديث يبلغ الرسول ﷺ وينذر من آمن بالله واليوم الآخر بقوله ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ**»؛ فما من عبد إلا وسيحاسب وسيسأل ولا تتحرك قدماه من مقام حسابه بين يدي ربه حتى يسأل عن خصال خمس، وفي الحديث يقول الرسول ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[2]، وذكر هنا هذه الخصال التي يسأل عنها ابن آدم وأنها خمس؛ لأنها أصول يندرج تحتها كل عمل وكل كسب وأول هذه الخصال قوله ﷺ «عن..... **عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟**» (أي فيم صرف أيام عمره ولياليه)[3]؛ فالعمر للمرء إما أن يكون خيراً له طالما كان عمله خيراً؛ فما من ساعة إلا تقربه من ربه، وإما أن يكون شراً عليه؛ فما من ساعة إلا وتبعده وتزيد من غضب ربه وسخطه عليه، روي عن النبي ﷺ أنه سُئِلَ: «أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ قَالَ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ قَالَ فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ قَالَ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ»[4].

---

(١) الأنفال: ٣٦.

(٢) رواه مسلم ١٠١٦.

(٣) تحفة الأحوذي ٧/ ٨٥.

(٤) حديث صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني ٢٣٢٩، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٣٢٩٦، ومشكاة المصابيح ٢٢٧٠.

وثاني هذه الخصال: قوله ﷺ «**وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ**»والشباب هو وقت القوة، والاستطاعة، والقدرة على العبادة؛ فيسأل عن أيام شبابه؛ فيما صرفها وضيعها وذكر الشباب وخصه بالذكر مع أنه مشمول في الخصلة الأولى وهي العمر؟ قال الطيبي رحمه الله: (المراد سؤاله عن قوته وزمانه الذي يتمكن منه على أقوى العبادة)[1]؛ فهو تخصيص بعد تعمم وتفصيل ببلاغة نبوية فريدة لمجمل القول.

وثالث هذه الخصال: قوله ﷺ «**وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ**» أي من حلال أم من حرام قال قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا ۝ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾[2] أيظن أن الله سبحانه لم يره ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه[3] بظلم أم بجرم؛ فإن المال من الشهوات التي هي زينة للناس، ولا يتركها ويزهد فيها إلا مؤمن قوي الإيمان حتى شبهه ﷺ بالذئب في الغنم يقول المصطفى ﷺ «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»[4]؛ فالمرء في حرصه على المال إن لم يجمح شهوته فهو كالذئب في الغنم وفي النهاية هو مَسؤول عنه؛ يسأله ربه عزوجل قبل أن تزول قدمهُ !!.

---

(١) تحفة الأحوذي ٧/ ٨٥ .

(٢) البلد : ٦ ـ ٧.

(٣) فتح القدير ١/ ٣١٠.

(٤) حديث صحيح ، انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني ٢٣٧٦ وصحيح الجامع الصغير للألباني ٥٦٢٠، والمسند للإمام أحمد ١٥٣٥٧، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني ١٧١٠، ومشكاة المصابيح ٥١٨١ .

ورابع هذه الخصال: قوله ﷺ «وَفِيمَ أَنْفَقَهُ» والتفصيل في كونه ﷺ ذكر جمع المال منفرداً عن إنفاقه؛ لأنه إن اكتسب المال ولم ينفقه سئل عن أمر واحد، هو كسبه، وإلا سئل عن الجهتين جميعاً: الكسب والإنفاق، وذلك أن جهة الإنفاق قد تقع على وجه الأمر، وقد تقع على غيره، وقد يكون فيها سرف، وقد لا يكون وقد يكون محتاجاً إليها، وقد لا يكون، وقد يكون جامعاً للمال أو غير جامع له(١)؛ فإذا صرف المال فيما فيه ابتغاء مرضاة الله ـ تعالى ـ وكان المال معيناً له ووسيلة إلى ذلك كان الحساب في السؤال أهون عليه منه إذا صرفه في شهوات بدنه ولذاتها فالحساب شديد، وجهنم من الظالمين ليست ببعيد؟! يقول النَّبِيَّ ﷺ: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢) أي يتصرفون فيه بغير عدل وينفقونه في غير موضعه، ويا عجباً قد يعصى الإله بنعمه ظلماً وجحوداً، وهو موقوف ومسؤول بين يدي الله ـ تعالى ـ.

وخامس هذه الخصال: قوله ﷺ «وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ» قال الطيبي: (إنما غير السؤال في الخصلة الخامسة حيث لم يقل وعن علمه ماذا عمل به؛ لأنها أهم شيء، وأولاه وفيه إيذان بأن العلم مَقْدِمُه العمل، وهو لا يُعتدُّ به لولا العمل)(٣)؛ فالعلم هو ميراث الأنبياء، وفضل العالم على غيره لا يُقارَن بعمل، وفي الحديث: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ

---

(١) حاشية الرملي ١/ ٣١٠

(٢) رواه البخاري ٣١١٨.

(٣) تحفة الأحوذي ٧/ ٨٥ .

الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[١]؛ فالعالم هو الهادي إلى صراط ربه المبلغ لسنة نبيه، وهو مستأمن على علمه، فإن هدى الناس وترك نفسه فقد أهلكها، وعلى نقيضه من كتم علماً؛ فلم يأمر به غيره فقد خاب وخسر وَأُلْجِمَ يوم القيامة بلجام من نار كما أخبر النبي ﷺ بذلك بقوله: «مَنْ كَتَمَ عِلْمًا يَعْلَمُهُ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَجَّمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»[٢].

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ إثبات البعث والنشور والحساب، وأن ذلك جزء من عقيدة المسلم.

٢ ـ أهمية هذه الخمس المذكورة في الحديث: العمر، الشباب، والمال، واكتسابه، من حله وإنفاقه في وجهه والعمل بالعلم.

٣ ـ السؤال عن هذه الأشياء لا ينفي السؤال عما سواها مصداقاً لقول ربنا عزوجل: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾.

٤ ـ أخبار النبي ﷺ بالمغيَّبات ووجوب تصديقه ﷺ فيما أخبر به عن ربه ـ عز وجل ـ.

---

(١) حديث صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني ٢٦٨٢، وصحيح سنن أبو داود للألباني ٣٦٤١.

(٢) حديث صحيح، صحيح سنن الترمذي للألباني ٢٦٤٩ وصحيح سنن أبو داود للألباني ٣٦٥٨، والمسند للإمام أحمد ١٠١٠٩.

٥

الحديث الخامس

الغيب لا يعلمه إلا الله

عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الْأَرْحَامِ وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ الْمَطَرُ»[1].

لغة الحديث:

مِفْتَاحُ : المفتاح هو ما يتوصل به إلى استخراج المغلقات التي يتعذر الوصول إليها[2].

الْغَيْبِ: ما غاب عن الحس ولم يكن عليه علم يهتدي به الفعل فيحصل به العلم[3].

معنى الحديث:

ذكر في هذا الحديث خمس خصال، وهي مما اختص الله - سبحانه وتعالى - بعلمها، وهي من الأمور الغيبية؛ فلا يعلمها مَلَك مقرب، أو نبي مرسل، قال - تعالى - على لسان نبيه: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[4]، وهذه الخمس تشتمل كل منها على أبواب عدة؛ فأولها: الساعة

---

(١) رواه البخاري ١٠٣٩.

(٢) لسان العرب ٢/ ٥٣٨.

(٣) التعاريف ٥٤٣.

(٤) الأعراف: ١٨٨.

وما تضمنت من الحشر والنشر والحساب، **وثانيها**: تنزيل الغيث وما يترتب عليه من الإحياء والإنبات، **وثالثها**: ما تحويه الأرحام، **ورابعها**: ما خبأه الله ـ سبحانه ـ عن الخلق تحت أستار الأقدار بحكمته القائمة وحجته البالغة وهو الموت، **وخامسها**: نبأ العاقبة التي انفرد بالاطلاع عليها ـ سبحانه وتعالى ـ[1]، وفي هذا الحديث يبين الرسول ﷺ ذلك ويفصله بقوله: «**مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ**» والمراد ما يتوصل به إليه؛ فما يتوصل به إلى علم الغيب مفاتح خمس ولكن قيدها بأنه لا يعلمها إلا الله؛ فما خفي عنا ولا يمكن لأحد منا الوصول إليه خص الله ـ سبحانه وتعالى ـ به نفسه، هو على خمسة أبواب يتفرع من كل باب ما يندرج تحته من فروع ، والخمسة لا أمارة لها ولا علامة عليها إلا ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ ومن ادعى علم شيء منها فهو كافر[2] وفي رواية أخرى للحديث عن عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: «أُوتِيَ نَبِيُّكُمْ ﷺ مَفَاتِيحَ كُلِّ شَيْءٍ غَيْرَ الْخَمْسِ ...» وذكر الحديث[3]، وأول هذه الخمس ذكرها النبي ﷺ بقوله: «**لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ**» أي ما يكون في غده من خير أو شر له أو لغيره وثانيها: قوله ﷺ: «**وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الْأَرْحَامِ**» فكل ما تحويه الأرحام قد وكل الله ـ سبحانه ـ به ملكاً، وفي زمامه من الملائكة ما لا يعلمه إلا الله ـ تعالى ـ وقرن بكل رحم ملكاً يجري على يديه تدبير النطفة في أطوار الخلقة من الغيب[4] فلا يدري أحد ما تسفر عنه النطفة من ذكر أو أنثى وما كتب الملك

---

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٢٥٦ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٢٥٩ .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند برقم ٤١٥٦.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٢٥٩ وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٥٤ .

له من رزق، وشقي هو أم سعيد يقول الرسول ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ»[١]؛ فجميع ذلك قبل أن تنفخ فيه الروح؛ وهذا لا يتعارض مع التقدم العلمي حيث قد يقول القائل قد يعرف الطبيب ما إذا كان الجنين ذكراً أم أنثى؟ فالأمر بعيد كل البعد عن معرفة الطبيب شيئاً من ذلك ، لأنه لا يعلم إلا ما صارت إليه النطفة وما استقرت عليه، ولكن هل يستطيع أن يعرف مع اللحظات الأولى للنطفة هل ستنمو وهل ستكون ذكراً أم أنثى وما قد كتب الملك له ! فهذا بعيد كل البعد من أن يعرفه أحد، فهذا علم الله الذي اختص به نفسه ـ سبحانه ـ هو علام الغيوب .

وثالث هذه الخمس: ذكرها النبي ﷺ بقوله «وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا» تكسب غداً في دنياها وأخراها[٢]؛ فكل ما يتحراه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع، وتحصيل حظ وما يظن أنه يجلب منفعة أو يدفع مضرة وكل ما أخذه لنفسه أو لغيره لا يعلمه إلا الله والاكتساب حقيقة لا يقال إلا فيما استفاده لنفسه[٣] قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾[٤].

ورابع هذه الأمور: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ في أي بلد من بلاد الله ـ تعالى ـ سيأتيه أجله[٥]. قال قتادة: أي ليس أحد من الناس يدري أين

---

(١) رواه البخاري ٣٣٣٢، ومسلم ٢٦٤٣ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٢٥٩، وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٥٤ .

(٣) التعريفات ص ٦٠٣ .

(٤) الأعراف: ١٨٨ .

(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٥٤ .

مضجعه من الأرض أفي بحر أم في بر أم في سهل أم في جبل[١] وفي الحديث يقول الرسول ﷺ: «إِذَا كَانَ أَجَلُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضٍ أَوْثَبَتْهُ إِلَيْهَا الْحَاجَةُ فَإِذَا بَلَغَ أَقْصَى أَثَرِهِ قَبَضَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ فَتَقُولُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَبِّ هَذَا مَا اسْتَوْدَعْتَنِي»[٢]؛ فليتق المرء ربه فالأجل غير معلوم والموت محتوم.

ثم خامس الأمور الغَيبيَّة التي ذكرها الرسول ﷺ بقوله: «**وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ الْمَطَرُ**» أي متى نزوله بالليل أم بالنهار[٣]؛ فهو مسوق مسخر بأمر الله وحده لا يعلم متى يجيء أو مقداره ولا سبيل إليه إلا بأمر الله وحده، ولذلك جاءت صلاة الاستسقاء طلباً ورجاءً لله وحده وتضرعاً إليه ـ سبحانه ـ عند احتباس ماء السماء وتمادي القحط وحاجة البلاد والعباد إلى رحمة الله ـ تعالى ـ ونزول المطر[٤].

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ حماية النبي ﷺ لحمى التوحيد وسده لطرق الشرك والتنبؤ بالغيب ونواقض الإسلام كلها؛ حرصاً منه ﷺ على أمته وتحذيرها من كل ما يضرها في دينها ودنياها.

٢ ـ هذه الخمس استأثر الله بهن فلم يُطْلع عليهن مَلَكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ، وقد

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٥٦ .

(٢) حديث صحيح ، انظر: صحيح سنن ابن ماجه للألباني ١٤٢٤، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٧٤٥، والسلسلة الصحيحة ١٢٢٢، وظلال الجنة ٣٩٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٥٦ .

(٤) المرجع السابق.

قال ـ تعالى ـ ذكره ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ.... الآية ﴾.

٣ ـ إنزال المطر فضل من الله ورحمة يحبسه إذا شاء ويُنزِلُه إذا شاء ومن ادعى علم ذلك فهو كافر بالإجماع.

٦

الحديث السادس

الالتجاء إلى الله والاستعداد ليوم المعاد

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ النَّبِيّ ﷺ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ خَمْسٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا، وَالْمَمَاتِ، وَفِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»(١).

لغة الحديث:

استعاذ بالله: أي لجأ إليه وهو عياذه أي ملجؤه والمعنى: الجأ إليه واعتصم به، وتعوذ واستعاذ بالله فأعاذه وعوذه حفظه(٢).

الفِتْنَةِ: البَلِيَّة وهي معاملة تُظْهِرُ الأمور الباطنة، وقال الراغب: هي. ما يتبين به حال الإنسان من خير أو شر(٣).

المَسِيحِ الدَّجَّالِ: أي الضِّلِّيل الكَذَّاب، قال الحربي: سُمِّيَ مَسيحاً لأن إحدى عينيه ممسوحة عن أن يبصر بها، وسمي دجالا لتمويهه، والدِّجل: التمويه والتغطية، يقال: دَجَلَ فلان إذا مَوَّه، وَدَجَّل الحق: غَطَّاهُ بِبَاطِلِهِ(٤).

معنى الحديث:

العبد فقير إلى ربه محتاج إليه في جميع أموره: دنياه وآخرته بيده وحده - سبحانه - التوفيق، والهداية، والاستغاثة، والاستعانة، والاستعاذة؛ فالحول

---

(١) رواه البخاري ١٣٧٧، وانظر: صحيح سنن النسائي للألباني ٥٥١١.

(٢) تحفة الأحوذي ١٠/ ١٧، وعون المعبود ٤/ ٢٨١٤٧.

(٣) انظر: التعاريف ص ٥٤٩، والتعريفات ص٢١٢.

(٤) انظر: لسان العرب ٢/ ٥٩٥، غريب الحديث لابن الجوزي ٢/ ٣٧٥، تحرير ألفاظ التنبيه ١/ ٢٦٩.

والقوة له، والدعاء؛ درجته عالية وفضله عظيم؛ ففي الحديث عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ـ رضي الله عنه ـ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قَالَ: الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، وَقَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ـ تعالى ـ: ﴿دَاخِرِينَ﴾»[1]؛ فهو باب الخير ومفتاح الفرج من تركه خاب ومن عجز عنه؛ فهو من أعجز الناس، يقول الرسول ﷺ: «أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ، وَأَبْخَلُ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلَامِ»[2]؛ فعلى المرء المسلم أن يلح في الدعاء ملتمساً أسباب الاستجابة كطيب المأكل، والمشرب واختيار الأوقات، والأزمنة التي هي أحرى بالاستجابة في جوف الليل ودبر الصلوات وبين الأذان والإقامة .... إلخ ما ورد في ذلك.

ومعلوم أن دفع الشر مقدم على جلب الخير، وفي هذا الحديث يأمرنا الرسول ﷺ بأن نستعيذ من شرور الدنيا المتمثلة في فتنها ومن شرور الآخرة المتمثلة في جحيمها، وفي أهمية هذا الدعاء تواترت الأحاديث بروايات مختلفة، منها ما رُوى عنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنه ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ «كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمْ السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ يَقُولُ: قُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»[3]، ويأمرنا ﷺ في هذا الحديث بأن نَسْتَعِيذَ بِاللهِ مِنْ خَمْسٍ

---

(١) حديث صحيح ، انظر: صحيح سنن أبو داود للألباني ١٤٧٩، وصحيح سنن الترمذي للألباني ٢٩٦٩، وصحيح سنن ابن ماجه للألباني ٣٨٢٨ .

(٢) حديث صحيح ، انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني ١٠٤٤ وصحيح الترغيب والترهيب للألباني ٢٧١٤، والسلسلة الصحيحة ٦٠١ .

(٣) رواه مسلم ٥٩٠ .

هي مجمع الشر كله، وفيها هلاك الأمر وفناؤه، وأول هذه المهالك التي يستعيذ المرء منها بالله بقوله ﷺ « عَذَابِ جَهَنَّمَ»، والاستعاذة من عذاب جهنم مستحبة، وهذا هو ما ذهب إليه الجمهور، وفي الاستعاذة إشارة إلى أنه لا مخلص من عذابها إلا بالالتجاء إلى بارئها[1] وخالقها فهي قوته وجبروته، وبطشه، وغضبه، ووعيده الذي أعده لمن عصاه، ومن شدتها، وعظم أمرها كان النبي ﷺ يستعيذ منها، ويعلم أصحابه أن يستعيذوا منها لشدة عذابها، وقوة نارها، وقد تواترت الأحاديث الكثيرة في وصفها وشدة حرّها، فعذابها لا تطيقه الجبال، ووقودها الناس والحجار، فمن نجا منها فقد فاز ومن هوى فقد خاب وخسر، أعاذنا الله وإياكم منها.

وثاني هذه الأمور العظام هو «عَذَابُ الْقَبْرِ» وفيه رد على من أنكر عذاب القبر من المبتدعة، والفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة فعذاب القبر ثابت بالكتاب والسنة، والقبر: هو أول منازل الآخرة وأول درجات الجزاء.

وثالث هذه الأمور هو: «فِتْنَةُ الْمَحْيَا» أي عليكم أن تَتَحَصَّنُوا بالله من فِتْنَةِ الْمَحْيَا، وهي الْكُفْرُ، وَقِيلَ الْعِصْيَانُ وَقِيلَ الْمَالُ وَالْوَلَدُ، وَالْأَحْسَنُ كُلُّ ما يَشْغَلُ عن اللهَّ فِتْنَةُ الْمَحْيَا، وقيل: فتنة المحيا الابتلاء مع زوال الصبر[2] قال ـ تعالى ـ : ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾[3]؛ فكل ما يعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان

---

(١) تحفة الأحوذي ٩/ ٣٢٧.

(٢) انظر: فتح الباري ٢/ ٣١٩، والفواكه الدواني ١/ ١٨٩ وشرح الزرقاني ٢/ ٥٤، وكفاية الطالب ١/ ٣٥٠ وتحفة الأحوذي ٩/ ٣٢٧ وعون المعبود ٣/ ٩٥.

(٣) الحج: ٥٣.

بالدنيا والشهوات والجهالات وأعظمها ـ والعياذ بالله ـ أمر الخاتمة عند الموت[١]، ثم ذكر ﷺ مع فتنة المحيا فتنة الممات كأنهما كلمة واحدة قال ابن بطال: «هذه كلمة جامعة لمعان كثيرة فينبغي للمرء أن يرغب إلى ربه في رفع ما نزل ودفع ما لم ينزل ويستشعر الافتقار إلى ربه في جميع أموره وقد كانﷺ يتعوذ من جميع ما ذكر دفعاً عن أمته وتشريعاً لهم ليبين لهم صفة المهم من الأدعية»[٢]. والمراد بفتنة الممات ما قاله ابن دقيق العيد: « يجوز أنها الفتنة عند الموت أضيفت إليه لقربها منه، وفتنة المحيا ما قبل ذلك، ويجوز أنها فتنة القبر ولا يعتبر مكرراً بذكر عذاب القبر وفتنة الممات؛ لأن العذاب مرتب على الفتنة، والسبب غير المسبب، وفتنة الممات السؤال في القبر مع الحيرة»[٣]؛ فهذا من العام بعد الخاص؛ لأن عذاب القبر داخل تحت فتنة الممات وفتنة الدجال داخله تحت فتنة المحيا.

وخامس هذه الأمور هي «فِتْنَةُ المَسِيحِ الدَّجَّالِ»، وهي فتنة عظيمة؛ لأنه يدَّعي الربوبية، والأرزاق تتبعه؛ فمن تبعه كفر وهو يسلك الدنيا كلها إلا مكة والمدينة ويبقى في الدنيا أربعين يوماً، والفرق بينه وبين عيسى ـ عليه السلام ـ أنه يدعي الربوبية ويأتي بشبهات يفتن بها الخلق حتى قال فيه النبيﷺ « أَنَّهُ أَعْوَرُ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[٤] ومذهب جميع المرسلين، ومن تبعهم من المؤمنين، وأهل الكتب أن الله ـ سبحانه ـ خالق العالمين ورب السموات والأرضين وما بينهما

---

(١) شرح الزرقاني ٢/ ٥٤ .

(٢) فتح الباري ٢/ ٣١٩ .

(٣)انظر: شرح النووي على مسلم ٥/ ٨٥ ، عون المعبود ٣/ ٩٥ ، شرح الزرقاني ٢/ ٥٤ .

(٤)رواه البخاري ٣٠٥٧.

ورب العرش العظيم والخلق جميعهم عباده، وهم فقراء إليه، وهو ـ سبحانه ـ فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه ومع هذا فهو معهم أينما كانوا كما قال ـ سبحانه وتعالى ـ[١] وكل نبي ورسول قد أنذر قومه من فتنة الدجال، وقد صح عنه ﷺ فيما يرويه عبد الله ابْنُ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ أن النَّبِيُّ ﷺ قَامَ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «إِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ وَلَكِنْ سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[٢] هذا ويسبق هذا الدجال دجالون يدعي كل منهم أنه رسول الله؛ فيفتن به من غوى وينبذه ويرده كل مؤمن وتقي، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ مِنْ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ لَا يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ»[٣]، أما الدجال فيطوف البلدان جميعها إلا مكة والمدينة فهي محرمة عليه ممنوع منها، روي عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ؛ فَيُخْرِجُ اللهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»[٤]، أما السبيل للعصمة من فتنته؛ فهو اتباع أمر النبي ﷺ بالاستعاذة منه وكذلك حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف

---

(١)انظر: مجموع الفتاوى ٣/ ٣٩٢، وكفاية الطالب ١/ ٣٥٠.

(٢)رواه البخاري ٣٠٥٧.

(٣)رواه مسلم ٧.

(٤)رواه البخاري ١٨٨١.

فصح عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ الدَّجَّالِ»[1]؛ فالحمد لله الذي أرسل لنا رسولاً رحيماً بنا ما ترك خيراً إلا دلنا عليه، وما ترك شراً إلا حذرنا منه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ إرشاد النبي ﷺ أمته إلى أسباب ما يعصمها من الأهواء المضلة والفتن المهلكة والمزعجات الحاضرة والمستقبلة.

٢ ـ الأنبياء والرسل مبعوثون بالبشارة والنذارة لئلا يكون للناس على الله حجة بعد أن جاءهم البشير والنذير والله على كل شيء قدير.

٣ ـ الدعاء مخ العبادة وهو مأمور به في جميع الأحوال.

---

(١)رواه مسلم ٨٠٩.

٧ الحديث السابع

من سنن الفطرة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْه سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الْفِطْرَةُ خَمْسٌ: الْخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ، وَنَتْفُ الْإِبْطِ، وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ»(١)

لغة الحديث:

الْفِطْرَةُ: قال ابن الكمال: هي الجبلة المتهيئة لقبول الدين، وقال الراغب: هي ما ركب الله في الإنسان من قوته على معرفة الإيمان، وقال الشريف: الخلقة التي جبل عليها الإنسان(٢).

الِاسْتِحْدَاد: هو إزالة شعر العانة، وهو الذي حول الفرج سواء إزالته بنتف، أو نورة، أو حلق مأخوذ من الحديدة، وهي الموس التي يحلق بها(٣).

معنى الحديث:

الخير كله في الإسلام، فما من فضيلة إلا أمر بها وما من رذيلة إلا نهى عنها فلم يُعْنَ بتطهير الباطن من الإلحاد والنفاق وكافة الأرذال فحسب بل عُني بنظافة الظاهر بآداب جمة تشمل: طهارة البدن، والملبس، والمأكل، والمسكن، وكذا الطرق، فإن من يُزيل أذاها جعل له أجراً وثواباً، بل عمله هذا من درجات الإيمان، يقول الرسول ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ

---

(١) رواه البخاري ٥٨٩١ ومسلم ٢٥٧ .

(٢) انظر: التعاريف ص ٥٦٠ والتعريفات للجرجاني ص ٢١٥، والمطلع على أبواب المقنع ص ١٣٧ .

(٣) تحرير ألفاظ التنبيه ١/ ٢٥٣ ، النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٥٣ ، وغريب الحديث لابن الجوزي ١/ ١٩٦.

الْإِيمَانِ»[١]؛ فعد الرسول ﷺ إماطة الأذى من درجات الإيمان؛ فالدين هو المقوم والمصحح، وهو الصراط المستقيم الجامع للعلوم والأحكام، حتى قال ابن عباس - رضي الله عنهما - «لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله»[٢]؛ فما ترك فضيلة في معيشة أو تعامل إلا بينها وأمر بها، ونهى عما يفسدها ويضادها، ومن ذلك ما بينه الرسول ﷺ في هذا الحديث بقوله: «الْفِطْرَةُ خَمْسٌ»، والمراد ما جبل الله الخلق عليه وجبل طباعهم على قبولها، وهي كراهة ما في جسده مما هو ليس من زينته وقيل هي السنة[٣]، أما قوله ﷺ: «الفطرة خمس»؛ فالظاهر أنها ليست على سبيل الحصر، وإن كان لفظ الفطرة خمس يفيد الحصر، ولكنه مصروف إلى المبالغة في أهمية هذه الخمس حتى كادت الفطرة تنحصر لجميعها فيها، ويبرهن على هذا ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رِوَايَةً «الْفِطْرَةُ خَمْسٌ... »[٤] وذكر الحديث، وفي حديث آخر يقول الرسول ﷺ: «عَشْرٌ مِنْ الْفِطْرَةِ ...»[٥]؛ فالخمس المذكورة لها من الأهمية والمكانة حتى ذكرها الرسول ﷺ بصورة بليغة، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -**: «وهذه الخصال عامتها إنما هي للنظافة من الدَّرَنِ؛ فإن الشارب إذا طال يَعْلَقُ به الوَسَخُ من الطعام والشراب، وغير ذلك وكذلك الفم إذا تغير ينظفه السواك والمضمضة والاستنشاق ينظفان الفَم، والأنف، وقص الأظفار ينظفها مما يجتمع تحتها من الوسخ وكذلك غسل البراجم: "وهي عُقَدُ الأصابع" فإن الوسخ يجتمع عليها ما لا يجتمع بين العُقَدِ وكذلك الإِبطِ؛ فإنه

---

(١) رواه مسلم ٣٥ .

(٢) أبجد العلوم ٢/ ١٩٣ .

(٣) إحكام الأحكام ١/ ٨٤ .

(٤) رواه البخاري ٥٨٨٩ ومسلم ٢٥٧ .

(٥) رواه مسلم ٢٦١ .

يخرج من الشعر عرق الإبط، وكذلك العانة إذا طالت، وروي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «وُقِّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ، وَنَتْفِ الْإِبِطِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ أَلَا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»(١)؛ فهذا غاية ما يترك الشعر والظفر المأمور بإزالته في الحديث يقول الرسول ﷺ: «قَالَ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ(٢)»(٣).

وأول هذه الخصال هو: «الْخِتَانُ» والختان واجب على الرجال؛ لأن الله ـ سبحانه ـ أمرنا باتباع ملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ، والختان من ملته ﷺ لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: « اخْتَتَنَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً بِالْقَدُّومِ»(٤).

وثاني هذه الخصال هو: «الِاسْتِحْدَادُ» والاستحداد هو الاستفعال من الحديدة يعني الاستحلاق كناية عن حلق العانة ، وهو استعمال الحديد في إزالة شعر العانة، وحلق العانة عما يتلبد من الوسخ فيها على شعرها، ومما يجتمع من الرحص فيها، والاستنجاء لتنظيف ذلك المحل، وتطييبه عن الأذى، والأدواء ولو قصه أو نتفه أو تنور جاز والحلق أفضل، وهو على الرجل والمرأة سواء(٥).

وثالث هذه الخصال: «نَتْفُ الْإِبِطِ» ونتفُ الإبطِ سُنَّةٌ؛ لأنه من الفطرة ويفحش بتركه وإن أزال الشعر بالحلق أو غيره جاز، ونتفه أفضل لموافقته الخبر

---

(١) رواه مسلم ٢٥٨.

(٢) رواه البخاري ٨٩٨، ومسلم٨٤٩.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢١/ ٣٠٧ .

(٤) رواه البخاري ٣٣٥٦، ومسلم ٣٣٧٠ .

(٥) انظر: شرح العمدة ١/ ٢٣٨ والأوسط ١/ ٢٣٩ ، وأحكام القرآن لابن العربي١/ ٥٦.

الثابت عن الرسول ﷺ وفي ذلك من الفائدة والغاية العظيمة لما يتضمنه ويترتب عليه من طهارة ورائحة طيبة وسعادة تعود على النفس بانشراح في الصدر[١].

ورابع هذه الخصال: «**تَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ**» ويستحب تقليم الأظفار؛ لأنه من الفطرة؛ لأن بتركه يصير فاحشاً وتعظم مضرته وأذاه.

وخامس هذه الخصال «**وَقَصُّ الشَّارِبِ**» وهو الأخذ منه حتى يَبْدُوَ طرف الشفة وهو الإطار ولا يجزه[٢] وقص الشارب من الفطرة، وهو سنة عن الرسول ﷺ، وفي ترك قَصِّه مخالفةٌ للرسول ﷺ جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «مَنْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ شَارِبِهِ فَلَيْسَ مِنَّا»[٣] وهو مخالفة للمشركين لإبقائهم عليه يقول الرسول ﷺ «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَوْفُوا اللِّحَى»[٤]، ويستحب أن يُحْفي شاربه حتى يظهر الجلد لأن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ كان يفعل ذلك وكان ـ رضي الله عنه ـ أكثر المتشبهين بالرسول ﷺ.

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ الفطرة فطرتان: فطرة تتعلق بالقلب: وهي معرفة الله ومحبته وإيثاره على ما سواه وفطرة تتعلق بالبدن وهي هذه الخصال المذكورة في الحديث؛ فالأولى تزكي الروح وتُطهر القلب والثانية تُطهِّرُ البدن وكل منهما تخص الأخرى وتقومها.

---

(١) المغني ١/ ٦٤.

(٢) تفسير القرطبي ٢/ ١٠٤.

(٣) حديث صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني ٢٧٦١، وصحيح سنن النسائي للألباني ٥٠٤٧، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٦٥٣٣.

(٤) رواه مسلم ٢٥٩.

٢ ـ مما يؤسف له انطماس كثير من هذه الخصال عند كثير من الناس وظهور بوادر تغيير خلق الله وهو تشبه بأعداء الله الكفار .

٣ ـ عناية الإسلام بنظافة باطن الإنسان وظاهره.

٨

الحديث الثامن

كل شيء مقدر ومكتوب

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَغَ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ مِنْ خَلْقِهِ مِنْ خَمْسٍ: مِنْ أَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَمَضْجَعِهِ، وَأَثَرِهِ، وَرِزْقِهِ»[١].

لغة الحديث:

الأجل : «مشارفة انقضاء أمد الأمر، وقيل الأجل المدة المضروبة للشيء ووقته الذي يحل فيه ودنوه، وقيل الأجل عبارة عن دنو الموت»[٢].

وَأَثَرِهِ : «أي أثر مشيه في الأرض»[٣].

ومضجعه : «أي قبره»[٤].

معنى الحديث:

القضاء والقدر من أصول الإيمان التي يجب على المسلم أن يؤمن بها ويسلم لها؛ فبالإيمان به ـ تعالى ـ تقر الأعين وتهدأ النفس وعكسه سخط وضجر وسقم ومرض يضيع فيه الإنسان بين إغواء الشيطان وضعف النفس والهوى كما يحدث في الندم والحسرة، دون قصد التوكل والأخذ بالأسباب قال ـ تعالى ـ : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا

---

(١) التعاريف ص ٣٧.

(٢) عمدة القاري ١٥/ ١٣٢ .

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ١٦٩ .

(٤) عمدة القاري ١٥/ ١٣٢ .

يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[١] وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[٢] فالمولى ـ عز وجل ـ شمل أشياء بالتقدير، ويجب على المرء أن يؤمن بها ويسلم لها، ويفصلها الرسول ﷺ بقوله: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَغَ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ مِنْ خَلْقِهِ مِنْ خَمْسٍ**» أي انتهى تقديره ـ سبحانه ـ في الأزل من تلك الأمور إلى تدبيرها بإبدائها، قال **الإمام الغزالي**: «معنى الفراغ من ذلك أنه ـ سبحانه ـ لما قسم العباد قسمين، وقدر لكل قسم ما ذكر وقدر أحدهما على اليقين أن يكون من أهل الجنة والآخر من أهل النار وعينهم تعييناً لا يقبل التغيير والتبديل فقد فرغ من أمرهم، فريق في الجنة، وفريق في السعير، فالرزق لا يزيد بالطلب، ولا ينقص بتركه فإنه مكتوب في اللوح المحفوظ مقدر مؤقت ولا تبديل لحكم الله ولا تغيير لقسمته»[٣].

وهذه الأمور أولها: «**الأجل**» أي مدة العمر[٤] قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ فالعمر مقدر مكتوب لا يُزاد فيه ولا يُنقص ولا يطول بدعاء ولا بعمل، وهذا لا يتنافى مع قوله ﷺ في الحديث: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[٥]؛ فليس هناك تعارض، إذ المراد بالحديث هنا هو الزيادة كناية عن البركة في العمر؛ بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة وصيانته عن تضييعه في غير

---

(١) الحديد: ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) القمر: ٤٩ .

(٣) فيض القدير ٤/ ٤٢٨ .

(٤) مرقاة المفاتيح ٤/ ٤٣٠ .

(٥) رواه البخاري ٢٠٦٧ .

ذلك[١]، فقد قُضِيَ أمره وَدُوِّنَ، ولا تغيير ولا تبديل فيه.

وثاني هذه الأمور: «العمل» خيره أو شره وصالحه أو فاسده[٢]؛ فجميع ما يعمله الإنسان مُدَوَّنٌ في الأزل بعلمه وبحكمته، وقدرته ـ سبحانه وتعالى ـ خيراً كان عمل الإنسان أم شراً بالفعل أم بالسبب.

وثالث هذه الأمور قوله ﷺ: «وَمَضْجَعِهِ» أي سكونه وقراره في قبره فإنه مضجعه على الدوام[٣] قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٤] قال الإمام المناوي: والمراد هو سكونه، وحركته، ومحل موته، ومدفنه، ومن ثم جمع بينها ليشمل جميع أحواله من الحركات والسكنات وشقي هو أو سعيد فالسعادة والشقاوة من الكليات التي لا تقبل التغيُّر[٥] مقضي أمره منذ القدم.

ورابع هذه الأمور قوله ﷺ: «وَأَثَرِهِ» أي أثر مشيه في الأرض خيره وشره.

وخامس هذه الأمور ذكرها ﷺ بقوله: «وَرِزْقِهِ» كمّاً وكيفاً حراماً وحلالاً بأسبابه ومواعيده[٦] فرزق المرء لا يتحكم فيه تعب أو عناء ولا بقلة أو كثرة فإن القضاء قد قُدِّر والأمر قد انتهى، وليس المراد بذلك التواكل على ذلك؛ بل هو

(١) انظر: سبل السلام ٤/ ١٦٠، وشرح النووي على مسلم ١٦/ ١١٤، وعون المعبود ٥/ ٧٧ وفتح الباري ١٠/ ٤١٦.

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح ٤/ ٤٣٠، عون المعبود ١٢/ ٣١٠، وتحفة الأحوذي ٦/ ٢٨٦.

(٣) عمدة القاري ١٥/ ١٣٢.

(٤) لقمان: ٣٤.

(٥) انظر: فيض القدير ٤/ ٤٢٨، والتيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ١٦٩.

(٦) انظر: فيض القدير ٤/ ٤٢٨، والتيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٣٠٨، ومرقاة المفاتيح ١/ ٢٩٣

أسباب ودعاء واستعانة وعمل.

وإذا قَدَّرَ الله للعبد خيراً يناله بالدعاء لم يحصل له بدون الدعاء وما قَدَّره الله، وعَلِمَه من أحوال العباد وعواقبهم؛ فإنما قَدَّرَه الله بأسباب يسوق المقادير إلى المواقيت؛ فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب، والله خالق الأسباب والمسببات، ولهذا قال بعضهم: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، ومجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب؛ فإن المطر إذا نَزَلَ وبُذِرَ الحب لم يكن ذلك كافياً في حصول النبات؛ بل لابد من ريحٍ مُرْبَيَةٍ بإذن الله، ولابد من صرف الانتفاء عنه؛ فلابد من تمام الشروط وزوال الموانع وكل ذلك بقضاء الله وقدره»[1].

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ الإيمان بالقضاء والقدر أصل من أصول الإيمان.

٢ ـ الأمر بالدعاء والاستعانة بالله والأخذ بالأسباب ومن ترك ذلك اتكالاً على القدر فقد أخطأ؛ لأن الله ـ تعالى ـ هو خالق الأسباب والمسببات، وقد جعل ـ سبحانه ـ لكل مطلوب سببا وطريقاً يُنال به.

٣ـ الجزاء من جنس العمل، وقد رتب الله بحكمته ورحمته الثواب العاجل والآجل لمن كان قصده وجه الله والدار الآخرة وعمل بالأسباب الباعثة على الخير مستشعراً هذا المقصد الأعلى.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٨/ ٦٩

٩

الحديث التاسع

من فضائل يوم الجمعة

عَنْ أَبِي لُبَابَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الْأَيَّامِ: وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللهِ وَهُوَ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يَوْمِ الْأَضْحَى وَيَوْمِ الْفِطْرِ فِيهِ خَمْسُ خِلَالٍ خَلَقَ اللهُ فِيهِ آدَمَ، وَأَهْبَطَ اللهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ وَفِيهِ تَوَفَّى اللهُ آدَمَ وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا الْعَبْدُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلَا سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ وَلَا رِيَاحٍ وَلَا جِبَالٍ وَلَا بَحْرٍ إِلَّا وَهُنَّ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ»(١).

ترجمة راوي الحديث:

أَبو لُبَابَةَ ابْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ : هو الصحابي الجليل بشير بن عبد المنذر بن الزبير بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة حين خرج إلى بدر وضرب له بسهم وشهد أُحُداً، و ما بعدها وكانت معه راية بني عمرو بن عوف في الفتح روى عن النبي ﷺ وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ورُوي عنه ـ رضي الله عنه ـ(٢).

لغة الحديث:

سَيِّدُ الْأَيَّامِ : شاهد فيشهد يوم القيامة لمن حضر صلاته(٣). والمراد أن يوم

---

(١) حديث حسن ، انظر: صحيح سنن ابن ماجه للألباني ١٠٨٤، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٢٢٧٩، ومشكاة المصابيح ١٣٦٣ .

(٢) انظر: الثقات ٣/ ٣٢، الجرح والتعديل ٢/ ٣٧٥، تهذيب التهذيب ١٢/ ٢٣٥، وتهذيب الكمال ٣٤/ ٢٣٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٥١٣ .

الجمعة أفضلها وقد ورد «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ»[١] أي أفضلكم أو أُريد مَقْدِمُها «فإن الجمعة متبوعة كما أن السيد يتبعه القوم وهو كذلك شاهد على من يشهده بحضور صلاته»[٢].

يُشْفِقْنَ : الإشفاق هو : عناية مختلطة بخوف لأن المشفق عليه يخاف ما يلحقه ومعنى الخوف فيه أظهر[٣].

معنى الحديث:

في هذا الحديث بيان لفضل يوم الجمعة وعظم الثواب فيه يذكر الرسول ﷺ ذلك مبتدئاً بقوله: «**إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الْأَيَّامِ وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللهِ**» وفي حديث آخر يقُولُ الرَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ»[٤]

وقوله ﷺ: «**فِيهِ خَمْسُ خِلَالٍ**» أي في نفس يوم الجمعة خمس خصال اخْتُص بها دون سائر الأيام[٥]، وهذه الخصال الخمس ذكرها النبي ﷺ بقوله: «**خَلَقَ اللهُ فِيهِ آدَمَ وَأَهْبَطَ اللهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ**» أي خلقت طينته ـ عليه السلام ـ في يوم الجمعة وأنزل إلى الأرض، وهذه جميعها فضائل، وخصائص لم تجتمع في هذا اليوم إلا إجلالاً، وتفضيلاً، وتعظيماً لهذا اليوم، يقول الرسول ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا

---

(١) رواه البخاري ٣٠٤٣ .

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح ٣/ ٤١٢ ،لسان العرب ٣/ ٣٤٠ ، فيض القدير ٤/ ١٢٠ .

(٣) انظر: التعاريف ص ٦٧ ولسان العرب ١٠/ ١٧٩ .

(٤) رواه مسلم ٨٥٤.

(٥) مرقاة المفاتيح ٣/ ٤١٢ .

وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ»[1] ثم يذكر الرسول ﷺ فضيلة أخرى بقوله «وَفِيهِ تَوَفَّى اللهُ آدَمَ» أي رجوعه إلى حضرته ـ تعالى ـ[2]؛ فآدم ـ عليه السلام ـ هو أبو البشر فمنه خرجت الذرية، وبه بدأت خلافته للأرض؛ فخروج روحه في هذا اليوم تفضيل ليوم الجمعة، ولأفضليته على سائر الأيام ثم إن في هذا اليوم خصلة أخرى وهي لعامة المسلمين بقوله ﷺ: «**وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا الْعَبْدُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا**» أي في هذا اليوم ساعة من سأل الله ـ عز وجل ـ داعياً في صلاة أو دعا في غير صلاة إلا أُعْطي سؤله، وهي باقية إلى يوم القيامة؛ فهذه الساعة خصلة فُضِّل بها يوم الجمعة عن سائر الأيام، أما قوله: «**لَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا**» أي ما لم يكن مسؤوله حراماً، يدل على هذا قوله ﷺ: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَا الِاسْتِعْجَالُ قَالَ يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ»[3]، ثم يذكر الرسول ﷺ خصلة وفضيلة أخرى ليوم الجمعة بقوله: «**وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ**» أي يوم القيامة؛ ففي يوم الجمعة نعمتان عظيمتان للمؤمنين هما: وصولهم إلى النعيم المقيم، وحبس أعدائهم في عذاب الجحيم؛ فهو عيد أهل الطاعة، ولذا يسمى يوم الجمعة عيد المؤمنين والمساكين[4]، أما قوله ﷺ: «**مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلَا سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ وَلَا رِيَاحٍ وَلَا جِبَالٍ وَلَا بَحْرٍ إِلَّا وَهُنَّ يُشْفِقْنَ مِنْ**

---

(١) رواه مسلم ٨٥٤ .

(٢) مرقاة المفاتيح ٣/ ٤١٢ .

(٣) رواه البخاري ٢٧٣٥ .

(٤) انظر: مرقاة المفاتيح ٣/ ٤١٢، والتيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٦٢.

يَوْمِ الجُمُعَةِ» أي ما من ملك مقرب كجبريل ولا أحد من أهل السماء أو الأرض إلا خائف من قيام القيامة فيه والحشر للحساب؛ فهو يوم الوعد والوعيد، وفيه هول المطلع والصعقة.

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ لله ـ عز وجل ـ في أيام الدهر نفحات ينبغي للمسلم أن يتعرض لها؛ لعله أن تصيبه نفحة لا يشقى بعدها أبداً إلا بإذن الله.

٢ ـ أخبار النبي ﷺ عن أمور غيبية وأحوال الأنبياء قبله وهي قبس من خصائصه وشمائله ﷺ.

٣ ـ عِظَمُ يومِ الجمعة وما يحصل فيه من الفضائل والخصائص يزيده تعظيماً وإجلالاً وتفضيلاً.

١٠

الحديث العاشر

التحذير من المعاصي والآثام

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما قَالَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ «فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»[١]

لغة الحديث:

ابْتُلِيتُمْ: امتحنتم[٢].

بِالسِّنِينَ: أي الجدب والقحط[٣].

الفاحشة: وهي ما اشتد قبحه من المعاصي، وكل ما ينفر عنه الطبع السليم ويبغضه العقل المستقيم[٤].

يَنْقُضُوا عَهْدَ: نقض العهد هو الغدر والإخلال بالشيء وتركه[٥].

---

(١) حديث صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني ٧٩٧٨ وصحيح سنن ابن ماجه للألباني ٤٠١٩ وصحيح الترغيب والترهيب للألباني ١٧٦١ والسلسلة الصحيحة ١٠٦ .

(٢) فتح الباري ٦/ ٥٠٣ .

(٣) لسان العرب ٨/ ٣٥ .

(٤) فيض القدير ١/ ٤٠١.

(٥) التعاريف ص ٥٣٤.

معنى الحديث:

الابتلاءات والمحن تميز المؤمن الصادق عن غيره ممن يدعي الإيمان؛ فإما صدق ومعه إيمان يزيد ويرسخ، وإما نفاق وضعف يتبعه انهيار وتخاذل وخور، وفي هذا الحديث يخاطب الرسول ﷺ معشر المهاجرين خاصة والمسلمين عامة بذكره محناً خمساً، البلاءُ ينزل بسببها، ويَحل بها عذابُ الله ـ عز وجل ـ، وقد استعاذ الرسول ﷺ أن يُدركوهُنَّ.

وأول هذه المحن والبلايا والرزايا: «**لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا**»، وقد حرم ربنا ـ تعالى ـ ذكره، الفواحش ما ظهر منها وما بطن؛ فإذا ظهرت ـ عياذاً بالله ـ في قوم وأعلنوا بها واشتهروا بها بين غيرهم فقد جاهروا الله بالمعاصي، وكان عقابهم أوبئةً تأخذهم جماعات وفرادى وأمراضاً وأسقاماً لم تظهر فيمن قبلهم، فيكثر الموت فيهم جَرَّاء جرمهم.

وثاني هذه الابتلاءات قوله ﷺ: «**وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ**» أي ما أنقصوا في كيلهم وميزانهم أكلاً لحقوق العباد وجوراً عليهم إلا مُنِعُوا البركَةَ فيه، وعوقبوا بالجَدْبِ والقَحْطِ[1] وقلة الرزق وضيق في العيش وظلم حكامهم لهم حيث لا يحكمون فيهم بالقسط بينهم[2]، ألا ترى أن هذه البلايا، والموبقات هي سبب هلاك الأمم التي كانت قبلنا فبالفاحشة اشتهر قوم لوط ـ عليه السلام ـ، وأعلنوا بها فكانت عاقبتهم الهلاك، والخسران، والتطفيف في المكيال، والميزان كان من أعمال قوم

---

(١) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٥١٩.

(٢) انظر: مشارق الأنوار ١/ ٣٧٠.

شعيب ـ عليه السلام ـ ؛ فكانت هلكتهم وخسرانهم بها؛ فالخسران، والندامة والإهلاك، والإبادة عاقبة مقترفي هذه الآثام نسأل الله العافية .

وثالث هذه الابتلاءات: بقوله ﷺ: «**وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا**» (أي لم يمتنعوا من أداء فريضة الزكاة التي فرضها الله عليهم إلا كان لهم عقاباً بقلة الأمطار، ولولا البهائم لم يُمطروا عقوبةً لهم بشؤم منعهم الزكاة عن مستحقيها، فانتفاعهم بالمطر الواقع إنما هو واقع تبعاً للبهائم، فالبهائم حينئذ خير منهم، وهذا وعيد شديد على ترك إخراج الزكاة، أَعْظِمْ به من وعيد)[1].

ورابع هذه الابتلاءات قوله ﷺ: «**وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ**»؛ لأنهم لم يطيعوا الله ورسوله، ولم يفعلوا ما أمر الله به ورسوله، ولم يحرموا ما حرم الله ورسوله، فهم بذلك قد خالفوا ما خُلقوا لأجله وما أثبتوه بنطقهم بالشهادة ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾؛ فاستحقوا العقاب بتسليط الله عليهم عدواً من غيرهم فيأخذون مما أنعم الله به عليهم عقاباً لهم في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ... نسأل الله أن يثبتنا على الحق، وألا يسلط علينا شرار الخلق!! .

أما خامس هذه الابتلاءات فيذكرها ﷺ بقوله: «**وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ**»، والمراد إذا حكم الحكام بغير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واستبدلوها بقوانين وتشريعات أخرى جاءهم العقاب بالحروب؛ فيما بينهم أو مع غيرهم، وظهرت فيهم الفتن

---

(١) فيض القدير ٥/ ٢٩٧.

والاختلافات وكثر القتل.

نسأل الله ــ تعالى ــ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفق عامة المسلمين وحكامهم للعمل بكتابه وبسنة نبيه ﷺ إنه سميع مجيب.

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ شدة العقوبة في ارتكاب المعاصي والآثام وشؤم عاقبتها على الأمة.

٢ ـ حرص النبي ﷺ على أمته وإرشاده لها إلى كل ما ينفعها في دينها ودنياها وتحذيره لهم مما فيه هلاكهم وخسرانهم.

٣ ـ جواز التعبير بالخاص وإرادة العام (يَا مَعْشَرَ الـمُهَاجِرِينَ).

١١ الحديث الحادي عشر

إجابة السائل والتحذير من كتم العلم

عَنْ يَزِيدَ بْنِ هُرْمُزَ أَنَّ نَجْدَةَ (١) كَتَبَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَسْأَلُهُ عَنْ خَمْسِ خِلَالٍ؛ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَوْلَا أَنْ أَكْتُمَ عِلْمًا مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ كَتَبَ إِلَيْهِ نَجْدَةُ أَمَّا بَعْدُ فَأَخْبِرْنِي هَلْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَغْزُو بِالنِّسَاءِ ، وَهَلْ كَانَ يَضْرِبُ لَهُنَّ بِسَهْمٍ ، وَهَلْ كَانَ يَقْتُلُ الصِّبْيَانَ ، وَمَتَى يَنْقَضِي يُتْمُ الْيَتِيمِ ، وَعَنْ الْخُمسِ لِمَنْ هُوَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ كَتَبْتَ تَسْأَلُنِي هَلْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَغْزُو بِالنِّسَاءِ وَقَدْ كَانَ يَغْزُو بِهِنَّ فَيُدَاوِينَ الْجَرْحَى وَيُحْذَيْنَ مِنْ الْغَنِيمَةِ وَأَمَّا بِسَهْمٍ فَلَمْ يَضْرِبْ لَهُنَّ وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَقْتُلُ الصِّبْيَانَ فَلَا تَقْتُلْ الصِّبْيَانَ وَكَتَبْتَ تَسْأَلُنِي مَتَى يَنْقَضِي يُتْمُ الْيَتِيمِ؛ فَلَعَمْرِي إِنَّ الرَّجُلَ لَتَنْبُتُ

---

(١) النجدات قوم من الخوارج من الحرورية يُنسبون إلى نجدة بن عامر الحروري الحنفي رجل منهم يقال هؤلاء النجدات والنجدية قوم من الحرورية ونجدة الحروري: فتح النون وسكون الجيم وبعدها دال مهملة وهو نَجْدة بن عامر الحروري من رؤوس الخوارج زائغ عن الحق ذكر في الضعفاء للجوزجاني وهو ابن عمير اليمامي خرج باليمامة عقب موت يزيد بن معاوية وقدم مكة وله مقالات معروفة وأتباع انقرضوا ووقع ذكره في صحيح مسلم وأنه كَاتَبَ ابن عباس يسأله عن سهم ذي القربى وعن قتل الأطفال الذين يخالفونه وغيره ذلك وأجابه ابن عباس واعتذر عن مكاتبته له. وكان ابن عباس – رضي الله عنهما - يكرهه لبدعته وما أجابه إلا لخوف أن يكتم علماً كما قال - رضي الله عنه -: «لَوْلَا أَنْ أَكْتُمَ عِلْمًا مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ» (انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال للحافظ الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي القسم الرابع، ص ٢٤٥، ترجمة رقم: ٩٠١٣، ط ونشر عيسى البابي الحلبي بمصر.

لِحْيَتُهُ وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ الْأَخْذِ لِنَفْسِهِ ضَعِيفُ الْعَطَاءِ مِنْهَا فَإِذَا أَخَذَ لِنَفْسِهِ مِنْ صَالِحِ مَا يَأْخُذُ النَّاسُ فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ الْيُتْمُ وَكَتَبْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ الْخُمسِ لِمَنْ هُوَ وَإِنَّا كُنَّا نَقُولُ هُوَ لَنَا فَأَبَى عَلَيْنَا قَوْمُنَا ذَاكَ »[١].

التعريف بالراوي:

يَزِيدُ بنُ هُرْمُزَ: هو فقيه المدينة أبو بكر عبد الله بن يزيد بن هرمز الأصم أحد الأعلام وقيل: اسمه يزيد بن عبد الله بن هرمز وهو معدودٌ في التابعين وقَلَّما روى، كان يتعبد ويتزهد وجالسه الإمام مالك كثيراً وأخذ عنه ، قال مالك: كنت أحب أن أقتدي به، وكان قليلَ الفُتيا شديد التحفظ كثيراً ما يفتي الرجل ثم يبعث من يرده ثم يخبره بغير ما أفتاه وكان بصيراً بالكلام يرد على أهل الأهواء وكان من أعلم الناس بذلك ، **قال الإمام مالك:** «جلست إلى ابن هرمز ثلاث عشرة سنة واستحلفني ألا أذكر اسمه في الحديث،ومات سنة ثمان وأربعين ومئة»[٢]

لغة الحديث:

الغزو : قصد العدو في دارهم[٣].

الْيَتِيمِ : قال أبو البقاء: (اليتيم من الناس صغير مات أبوه؛ لأن نفقته عليه لا على الأم ومن غير الناس الذي ماتت أمه)[٤].

الْخُمسِ: هو الخمس من المغنم وهو صليبة بني هاشم وبني المطلب وقيل:

---

(١) رواه مسلم ١٨١٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٧٩ .

(٣) المطلع على أبواب المقنع ص٢٠٩.

(٤)التعاريف ٧٤٨.

آله وأصحابه ومن آمن به[١].

معنى الحديث:

العلم هو فضل الله الذي ينعم به على من يشاء من عباده، فمن عمل به وعلمه كان له الأجر والمثوبة من الله ـ عز وجل ـ وأجر مثل أجر من عمل به دون أن ينقص من أجرهم شيءٌ، قال الرسول ﷺ: «مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا فَلَهُ أَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهِ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الْعَامِلِ»[٢]، والكتمان أشد جرماً وإثماً وصح عنه ﷺ أنه قال «مَا مِنْ رَجُلٍ يَحْفَظُ عِلْمًا فَيَكْتُمُهُ إِلَّا أُتِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَمًا بِلِجَامٍ مِنْ النَّارِ»[٣]، ومن هذا المنطلق كان مدار هذا الحديث الشريف الذي بدأه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بقوله: «لَوْلَا أَنْ أَكْتُمَ عِلْمًا مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ ..... الحديث» ذلك لجرم ما عليه السائل وهو نجدة الحروري وكان من الخوارج وكان ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يكرهه؛ لبدعته وكونه من الخوارج الذين يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية[٤] وقد أجابه عما سأل عنه وكان سؤاله عن «**خمس خلال** أولها» قوله: «**هَلْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَغْزُو بِالنِّسَاءِ**» أي يسافر بهن في غزوه؛ فأجابه ـ رضي الله عنه ـ بقوله: «**وَقَدْ كَانَ يَغْزُو بِهِنَّ فَيُدَاوِينَ الْجَرْحَى**» أي كان

---

(١) النهاية في غريب الأثر ١/ ٨١.

(٢) حديث حسن ، انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني ٦٣٩٦، وصحيح سنن ابن ماجه للألباني ٢٤٠، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني ٨٠ .

(٣) حديث حسن ، انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني ٥٧١٣، وصحيح سنن ابن ماجه للألباني ٢٦١، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني ١٢٠ .

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم ١٢/ ١٩٠ ، مرقاة المفاتيح ٧/ ٥٠٣ .

النبي ﷺ يأخذهن معه يداوين الجرحى من المسلمين ويسقين الغزاة ويهيئن لهم أمورهم[١].

«وَكَانَ يَضْرِبُ لَهُنَّ بِسَهْمٍ» أي يقسم لهن نصيباً من الغنيمة التي يغنمها المسلمون، فأجابه ـ رضي الله عنه ـ بقوله: «وَيُحْذَيْنَ مِنْ الْغَنِيمَةِ وَأَمَّا بِسَهْمٍ فَلَمْ يَضْرِبْ لَهُنَّ»، ولم يقسم لهن سهماً، ولكن كُنَّ يُعْطَيْنَ من الغنيمة عطية تسمى الرَّضْخُ[٢] (وفي هذا أن المرأة تستحق الرضخ[٣] ولا تستحق السهم)[٤]. قال الإمام الشوكاني: (والظاهر أنه لا يسهم للنساء والصبيان والعبيد والذميين وما ورد من الأحاديث مما فيه إشعار بأن النبي ﷺ أسهم لأحد من هؤلاء فينبغي حمله على الرضخ وهو العطية القليلة جمعاً بين الأحاديث)[٥].

أما قتلُ صبيان أهل الحرب فهو حرام إذا لم يقاتلوا وكذلك النساء؛ فإن قاتلوا جاز قتلهم والنهي عن قتل الصبيان في الحرب لقصورهم عن فعل الكفر ولأن في استبقائهم انتفاعاً بالرَّقَبَة أو بالفداء عند من يجوِّز أن يفادى بهم[٦]. وفي

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم ١٢/ ١٩٠، مرقاة المفاتيح ٧/ ٥٠٣.

(٢) الرضخ: من الرضاخة وهو العطية وقيل الرضخ و الرضيخة العطية المقاربة، انظر: لسان العرب ٣/ ١٩، والنهاية ٢/ ٢٢٨.

(٣) وبهذا الحديث استدل به العلماء على عدم جواز أخذ النساء سهماً من الغنيمة، وبه قال أبو حنيفة والثوري والليث والشافعي وجماهير العلماء، انظر: شرح النووي على مسلم ١٢/ ١٩٠، عون المعبود ٧/ ٢٨٥، وعمدة القاري ٨/ ٣٠٠.

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم ١٢/ ١٩٠، مرقاة المفاتيح ٧/ ٥٠٣.

(٥) تحفة الأحوذي ٥/ ١٤٣.

(٦) انظر: شرح النووي على مسلم ١٢/ ١٩١، عمدة القاري ١٤/ ٢٦٣.

الحديث عَنْ ابْنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ «عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ»[١].

أما متى ينقضي حكم اليُتْمِ: ويصح تصرفه ويحق له التحكم في أمواله؟ فإن اليُتْمَ لا ينقطع بمجرد البلوغ، ولا بعلو السن؛ بل لا بد أن يظهر منه الرشد في دينه وماله؛ فإذا استقام أَمْرُ اليتيم بظهور رشده وبان حسنُ تصرفهِ في دِينِهِ ومالِهِ؛ فقد انقضى حكمه وجاز دفع ماله له وجاز أن يتصرف فيه .

قال الإمام النووي ــ رحمه الله ــ: (وبه قال الشافعي ومالك وجماهير العلماء أن حكم اليتيم لا ينقطع بمجرد البلوغ ولا بعلو السن بل لا بد أن يظهر منه الرشد في دِينِهِ ومالِهِ) [٢].

أما الخُمس من الغنائم: لمن يدفع ومن يأخذه فأجاب رضي الله عنه بقوله: «**وَكَتَبْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ الْخُمسِ لِمَنْ هُوَ وَإِنَّا كُنَّا نَقُولُ هُوَ لَنَا فَأَبَى عَلَيْنَا قَوْمُنَا ذَاكَ**» وهو خمس الخمس من الفيء، والمغنم الذي جعله الله لذوي القربى[٣] من نسب الرسول ﷺ وقوله: «**فَأَبَى عَلَيْنَا قَوْمُنَا ذَاكَ**» أي رأوا أنه لا يتعين صرفه إلينا؛ بل يصرفونه في المصالح، وأراد بقومه ولاة الأمر من بني أمية، كما قال الإمام النووي، ومن ذلك ما رُوي عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَبَرَةً مِنْ جَنْبِ بَعِيرٍ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِي مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكُمْ قَدْرُ هَذِهِ إِلَّا الْخُمُسُ وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ»[٤] .

---

(١)رواه البخاري ٣٠١٤ .

(٢)شرح النووي لمسلم ١٢/ ١٩١ .

(٣) المرجع السابق ١٢/ ١٩١.

(٤)حديث صحيح ، انظر: صحيح سنن أبو داود للألباني٢٦٩٤، وصحيح سنن النسائي للألباني ٤١٣٨، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٧٨٧٢ .

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ وجوب سؤال المرء عما يشكل عليه من المسائل، وعلى من سئل أن يجيب بما هو الحق متجرداً متنزهاً عن التعصب والهوى.

٢ ـ فضل ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وسعة علمه ورسوخ قدمه في الإجابة عن المشكلات والمدلهمات... . ولا غرو فهو حبر الأمة ومن أكابر فقهائها الأعلام.

٣ ـ جواز ذكر ما عليه المرء من المآخذ والمعايب؛ لِيُجْتَنَبَ ويُعرف، ولا يعد هذا غِيبةً في حقه.

٤ ـ وجوب المفاصلة بين أهل الحق والباطل ومجانبة أهل البدع والأهواء.

١٢

الحديث الثاني عشر

أسماء خاتم الأنبياء

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ**»(١)

التعريف بالراوي:

جُبَيْرُ بْنِ مُطْعِمٍ : هو الصحابي الجليل جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي شيخ قريش في زمانه، أبو محمد، ويقال أبو عدي القرشي النوفلي ابن عم النبي ﷺ من الطلقاء الذين حسن إسلامهم، وقد قدم المدينة في فداء الأسارى من قومه، وكان موصوفاً بالحلم ونبل الرأي كأبيه.

لغة الحديث:

مُحَمَّدٌ : يقال رجل محمد ومحمود أي كثير الخصال المحمودة وسمي نبينا محمداً ﷺ لكثرة خصاله المحمودة(٢).

الْعَاقِبُ : أي آخر الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ؛ فإنه خلف من قبله، وجاء بعدهم(٣).

الْحَاشِرُ: الحاشر من أسماء رسول الله ﷺ والحاشر الذي يُحْشَرُ الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره(٤).

---

(١) رواه البخاري ٣٥٣٢، ومسلم ٢٣٥٤.

(٢) دقائق المنهاج ١/ ٢٦.

(٣) انظر: مختار الصحاح ص١٨٦ ، ولسان العرب ١٢/ ١٦٥ ،وغريب الحديث لابن الجوزي ٢/ ١١١ .

(٤) لسان العرب ٤/ ١٩١ .

معنى الحديث:

أنعم الله علينا بأن جعلنا خير أمة أخرجت للناس، وفضَّلنا على سائر الأجناس وأرسل لنا نبي الهدى والرحمة نبينا محمداً ﷺ فبه امتلأت الأرض إيماناً وعدلاً وعُرف للحق طريقاً وللفضيلة مسلكاً، وقد فُضِّل النبي محمد ﷺ على سائر البشر كافة، قال الرسول ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ، وَلَا فَخْرَ وَلِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ»[1] فما من أحد مدحه الله ـ عز وجل ـ في القرآن سواه ﷺ فقال في خُلُقِهِ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2] وقال في صدقه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[3] وخَصَّ برحمته ورأفته المؤمنين قال ـ تعالى ـ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[4] وأعزه الله ـ عز وجل ـ بتعليمه فقال: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[5] وأخذ له العهد من جميع الأنبياء باتباعه ونصرته فقال: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ

---

(١) حديث صحيح ، انظر: صحيح سنن أبو داود للألباني ٤٦٧٣ وصحيح سنن ابن ماجه للألباني ٤٣٠٨ والسلسلة الصحيحة ١٥٧١ .

(٢) القلم : ٤ .

(٣) النجم: ٣ ـ ٤ .

(٤) التوبة : ١٢٨ .

(٥) النجم : ٥ .

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[١] قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه العهد لئن بَعَثَ محمداً وهو حي ليتَّبِعَنَّه، وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بُعِثَ محمدٌ وهم أحياء ليتبعنه وينصُرُنَّه[٢]»، وقد اشتهر النبي ﷺ بصفات انحصرت فيه فصارت عَلَماً عليه وسمي بها، وفي هذا الحديث بدأها الرسول ﷺ بقوله: «لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ» وهذه الأسماء الخمس ليست على سبيل الحصر؛ بل هي الأبرز والأغلب والمشهورة المذكورة لأصحاب الملل السابقة في كتبهم لأن النبي ﷺ تفوق أسماؤه ذلك بكثير. قال القاضي عياض: حمى الله هذه الأسماء الخمسة أي المذكورة في حديث الباب أن يتسمى بها أحد قبله وإنما سَمَّى بعض العرب محمداً قرب ميلاده لما سمعوا من الكهان والأحبار أن نبيا يُبعث في ذلك الزمان يسمى محمداً، رجوا أن يكون هو فسموا أبناءهم بذلك[٣].

وثاني أسمائه ﷺ «أَحْمَدُ» (أي ألهم الله ـ تعالى ـ أهله أن سَمَّوْهُ به لِمَا عَلِمَ ـ سبحانه ـ من جميل صفاته)[٤]. (أما عن سبب تسميته ﷺ بأحمد فهو ما ثبت في الصحيح أنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله، وقيل

---

(١) آل عمران: ٨١ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ١٨٢ .

(٣) شرح الزرقاني ٤/ ٥٦١ .

(٤) شرح النووي ١٥/ ١٠٤ ، وانظر: تحفة الأحوذي ٨/ ١٠٥ .

الأنبياء حمادون وهو أحمدهم)[١] أي (أكثرهم حمداً أو أعظمهم في صفة الحمد)[٢].

وثالث الأسماء « **الْمَاحِي**» وهو الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِهِ الْكُفْرَ لِيَعْلُوَ الإِيمَانُ أما المراد به تفصيلاً فقيل: المراد محو الكفر من مكة والمدينة وسائر بلاد العرب وما زُوِيَ له ﷺ من الأرض ووعده ربه أن يُبَلِّغَهُ مُلْكَ أمته قال الرسول ﷺ « إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا»[٣].

ورابع الأسماء «**الْحَاشِرُ**» أي الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِهِ. وفي رواية أخرى: «وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي»[٤] قال العلماء: (معناهما يحشرون على أثري، وزمان نبوتي، ورسالتي وليس بعدي نبي.

وخامس هذه الأسماء « **الْعَاقِبُ**» العاقب أي النبيُّ الخاتَمُ الذي ختم الله به الأنبياء وختم بمسجده هذا المساجد يعني مساجد الأنبياء، قال ابن الأعرابي: (العاقب والعقوب الذي يخلف في الخير من كان قبله)[٥] وفي رواية أخرى: فهو خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تمت رسالته وحوت جميع الرسالات وبه تمت الرسل. فصلى الله وسلم على نبينا محمد أشرف من أقلَّت الأرض، وأظلَّت السماء

---

(١) إشارة إلى ما رواه البخاري ومسلم عنه ﷺ حينما يتنحى الأنبياء جميعهم عن الشفاعة إلا نبينا ﷺ « وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وُعِدَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ» رواه البخاري ٧٤٤٠ ومسلم ١٨٢ .

(٢) تحفة الأحوذي ٨/ ١٠٥ .

(٣) رواه مسلم ٢٨٨٩ .

(٤) رواه مسلم ٢٣٥٤.

(٥) النووي لمسلم ١٥/ ١٠٦، وانظر: شرح الزرقاني ٤/ ٥٦٠ وتحفة الأحوذي ٨/ ١٠٥ ، والنهاية في غريب الأثر ٣/ ٢٦٨ وغريب الحديث للخطابي ١/ ٢٢٥، وغريب الحديث لابن الجوزي ٢/ ١١١ .

ونشهد أنه بلّغ الرسالة وأدى الأمانة وأخرج أمته ـ بإذن ربه ـ من الظلمات إلى النور.

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ جواز أن يعبِّر الإنسان عن نفسه وأن يفخر بما هو فيه تحدُّثاً بنعمة الله عليه وتفضيله له ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ .

٢ ـ عِظَم فضل نبينا محمد ﷺ واصطفاء الله له.

٣ ـ ببعثته ونبوته ﷺ ختمت الرسالات وأكملت الشرائع وتمت النعمة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ (١).

٤ ـ يجوز أن نتسمَّى بأسماء الرسول ﷺ ولا نتكنَّى بكُنيته (أبا القاسم) مثلاً، كما قال ﷺ: «تَسَمَّوْا بِاسْمِي، وَلاَ تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي فَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمُ أقسمُ بينكم» (٢).

---

(١) آل عمران: ٨٥.

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي٧/ ١١٨ كتاب الآداب في رقم ٢١٣٣ باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحبُّ من الأسماء.

١٣

الحديث الثالث عشر

وجوب دفع الضرر وقتل المؤذي

عَنْ عَبْدِ الله بْنُ عُمَرَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـ قَالَتْ حَفْصَةُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَمْسٌ مِنْ الدَّوَابِّ لَا حَرَجَ عَلَى مَنْ قَتَلَهُنَّ: الْغُرَابُ وَالْحِدَأَةُ وَالْفَأْرَةُ وَالْعَقْرَبُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ»(١)

لغة الحديث:

العقور: (هو كُلُّ سَبُعٍ يَعْقِرُ أي يجرح ويَقْتُلُ ويفترس كالأسد والنَّمِرِ والذئبِ وسماها كلباً لاشتراكها في السَّبُعِيَّة والعَقُور من أبنية المبالغة(٢)) وقيل هو: (كل عاقر كالأسد والحية(٣)).

معنى الحديث:

أنعم الله ـ عز وجل ـ علينا بالنعم الوفيرة وأمرنا أن نشكره على نعمته وأن نسبح بحمده ومن نعمه علينا أن أحل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث. ولذا قال العلماء: (والأصل في جميع الأشياء الحل إلا ما قام عليه دليل التحريم). وفي هذا الحديث قال الرسول ﷺ: «خَمْسٌ مِنْ الدَّوَابِّ لَا حَرَجَ عَلَى مَنْ قَتَلَهُنَّ» وسبب قتلهن كثرة ضررهن وإيذائهن، وفي رواية أخرى: «خَمْسٌ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ»(٤)، فالفسق هو الخروج عن الاستقامة والجور، وسميت هذه الحيوانات فواسق على الاستعارة لخبثهن، قال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ: (المعنى فيهن

---

(١) رواه البخاري ١٨٢٨، ومسلم ١١٩٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٢٧٥.

(٣) غريب الحديث للحربي ٣/ ٩٩٩.

(٤) رواه مسلم ١١٩٨.

كونهن مؤذيات وأحل قتلهن لخروجهن بالإيذاء والإفساد عن طريق معظم الدواب[١]).

وأول هذه الدواب هو: «**الْغُرَابُ**» ويقتل الغَدَّافُ والأبقع منه لأنهما يأكلان الجيف، وأما غراب الزرع فلا.

وثاني هذه الدواب هي: «**اَلْحِدَأَةُ**» تقف في الطيران، ويقال إنها لا تختطف إلا من جهة اليمين، وهي كالغراب تأكل الجيف، وكذا تخطف الجيف واللحوم من أيدي الناس [٢]).

وثالث هذه الدواب هي «**الْفَأْرَةُ**» وهي الفُوَيْسِقَة، وسبب إباحة قتلها أنها تفسد على الناس الطعام والمتاع وتمسك بفتيل السراج فتحرق البيت.

ورابع هذه الدواب هي: «**اَلْعَقْرَبُ**» وقد أمرﷺ بقتلها والحية والعقرب في الحكم سواء. واتفق جماهير العلماء على جواز قتلهن جميعاً في الحل والحرم والإحرام[٣] وقد اقترنت الحية والعقرب في أمر الرسول ﷺ بقتلهن في كل وقت وزمان وإن كان في الصلاة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ أنه قَالَ: (أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَتْلِ الْأَسْوَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ الْحَيَّةُ وَالْعَقْرَبُ) [٤] وذلك لعظيم ضررهما على الناس والخوف منهما.

---

(١) انظر: فتح الباري ٤/ ٣٧ وشرح مسلم للنووي ٨/ ١٣ والنهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٤٦).

(٢) انظر: فتح الباري ٤/ ٣٨ وتفسير القرطبي ٦/ ٣٠٣.

(٣) شرح مسلم للنووي ٨/ ١١٣ .

(٤) حديث صحيح ، انظر: صحيح سنن أبو داود للألباني ٩٢١ وصحيح سنن الترمذي للألباني ٣٩٠ وصحيح سنن النسائي للألباني ١٢٠٢ وصحيح سنن ابن ماجه للألباني ١٢٤٥ وصحيح الجامع الصغير للألباني ١١٤٧ ومشكاة المصابيح ١٠٠٤ .

وخامس هذه الدواب هو: «**الْكَلْبُ الْعَقُورُ**» وهو كل سَبُعٍ يعقر أي يجرح ويقتل ويفترس كالأسد والنمر والذئب[1] فكل ما يعتدي على الإنسان ويؤذيه جاز قتله في الحل والحرم والله أعلم.

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ السنة النبوية موضحة ومفسرة ومفصلة للقرآن الكريم وما حرم رسول الله ﷺ فهو كما حرم الله ومن أنكر ذلك فقد افترى إثماً مبيناً.

٢ ـ تحريم كل مستخبث مستقذر من الحيوانات، والدواب والحشرات والهوامّ وَحِلُّ قتلها؛ لإيذائها ومضرتها.

٣ ـ جواز دفع الصائل ولا ضمان على من قتله، أو أصابه أو أتلفه.

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٧٥.

١٤ الحديث الرابع عشر

من صفات أهل النار ودار البوار

عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «أَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تبعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا، وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوْ الْكَذِبَ وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ»[1]

راوي الحديث :

هو الصحابي الجليل: «عياض بن حِمار المجاشعي التميمي المجاشعي أقام بالبصرة وروى عن الرسول ﷺ وروى عنه الإمام الحسن بن أبي الحسن بن يسار والإمام مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير وكثير من كبار التابعين[2]».

لغة الحديث :

لَا زَبْرَ لَهُ: أي لا عقل له يَزْجُرُهُ وينهاه عن الإقدام على ما لا ينبغي[3].

الشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ: السيئ الخلق[4].

---

(١) حديث حسن ، انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني ٢٤١٦، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٧٢٩٩، ومشكاة المصابيح ٥١٩٧، وصحيح الترغيب والترهيب ١٢٨، والسلسلة الصحيحة ٩٤٦.

(٢) طبقات الشافعية ١٠/ ٤١٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٩٣ ، ولسان العرب ٤/ ٣١٥.

(٤) انظر: غريب الحديث لابن الجوزي ١/ ٥٦٣، والنهاية في غريب الحديث ٢/ ٥٠٤، ولسان العرب ٤/ ٤٣١.

معنى الحديث:

النار هي عقاب الله ووعيده لمن عصاه وصد عن سبيله وما من مؤمن إلا وهو يستعيذ بالله منها؛ فهي غضب الله وسخطه ومن كانت عاقبته؛ فقد خسر وضل وسلك غير سبيل المؤمنين، وفي هذا الحديث ذكر الرسول ﷺ مسالك وطُرُقاً خمسةً لأهل النار وذلك بقوله ﷺ: «**أَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ**» وهي ليست على سبيل الحصر بل على الغالب والمشهور. **وأول هذه الطرق « الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا»**، وهو الذي لا عقل له يزجره ويمنعه مما لا ينبغي له، أو الذي لا مال له؛ لأن العقل هو ما يتميز به المؤمن عن غيره، ألا ترى أن الله - عز وجل - جعل من يصد عن سبيله أضل من الدواب قال - تعالى -: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ (١) وليس المقصود بالضعف التقصير أو القلة والضمور، بل قد يتسم بالذكاء والدهاء، ولكن عقله لا يمنعه من العناد والجحود، ألا ترى حال قريش مع الرسول ﷺ وما كانوا يتميزون به من فصاحة وذكاء ودهاء، ولكن عقولهم وقفت أمام عنادهم وجحدهم، وهم يومئذ فُصَحَاءُ لُسُنٍ وَمَصَاقِيعُ بَيَانٍ، ولكن لم ينفعهم ذلك!!.

والصفة الثانية لأهل النار: الخيانة وهي صفة ذميمة لا تكون في مؤمن؛ لأنها طبع خبيث لا يكون إلا في منافق قال ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»(٢) وهي محرمة بجميع أنواعها وأشدها خيانة

---

(١) الفرقان: ٤٤.

(٢) رواه البخاري برقم: ٣٣.

الدين ـ أعاذنا الله منها ـ.

ومن صفات أهل النار أيضاً قوله ﷺ: «**وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ**» فخداعه لا ينتهي ولا ينقطع بليل أو نهار في المال بتجارة أو بيع وشراء. وفي الأهل بقول أو نصيحة.

والخداع منهي عنه إلا في الحرب فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «الْحَرْبُ خُدْعَةٌ»[1].

ومن صفات أهل النار ما ذكره النبي ﷺ بقوله: «الْبُخْلُ أَوْ الْكَذِبَ». قال الإمام النووي: «وذكرت في بعض النسخ بالواو أيضاً»[2].

والْبُخْلِ وهو: مَنْعُ الْوَاجِبِ، وَنَظِيرُهُ الشُّحُّ، وَنَقِيضُهُ الْجُودُ، والبخل لَا يَصِحُّ إطْلَاقُهُ فِي الدِّينِ إلَّا على جِهَةِ أَنَّ فَاعِلَهُ قد أتى كَبِيرَةً بِالْمَنْعِ، قال الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[3]؛ فَأَطْلَقَ الْوَعِيدَ على من بَخِلَ بِحَقِّ اللهِ الذي أَوْجَبَهُ في مَالِهِ[4] وهو صفة مذمومة تنطوي على الأنانية وحب الذات، وليس ذلك من آداب الإسلام، الذي تدعو شرائعه إلى المحبة في الله، والإيثار، وحب الخير.

وأما الكذب: فهو منافٍ لفطرة الإسلام الذي يبنى على الصدق الموَصِّل

---

(١) رواه البخاري ٣٠٢٩، ومسلم ١٧٤٠ .

(٢) شرح مسلم للنووي ١٧/ ١٩٩ .

(٣) آل عمران: ١٨٠.

(٤) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٦٥ .

إلى الإيمان أما الكذب فهو هادٍ للنفاق وموصِّل للفجور، جاء في الحديث: «إِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا» فعلى المسلم أن يحترس من الكذب بالإقلال من فضول الكلام.

ومن أصناف أهل النار ما ذكره النبي ﷺ بأنه: «**الشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ**» أي السيئ الخلق[1]؛ فالخلق هو شطر الإيمان الظاهر بالتعامل والمعاملة، وهو من كمال الإيمان عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[2]، فأجدر بالخلق الفاضل وأحرِ بالمتصف به!، وما أثقله في ميزان المؤمن يوم القيامة! جاء في الحديث: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ**»[3]

قلت: وبضدها تتمايز الأشياء فمن اقترف ضد هذه الخصال الحميدة باء بالعقاب، نسأل الله العافية.

ما يرشد إليه الحديث:

١ـ الإيمان بالجنة والنار وأنهما حقٌّ وهذا الإيمان جزء من عقيدة المسلم.

٢ـ المرء يقاس بعقله وحصافة فكره لا بجسمه وشكله.

---

(١) انظر: غريب الحديث لابن الجوزي ١/ ٥٦٣ ، والنهاية في غريب الحديث ٢/ ٥٠٤، ولسان العرب ٤/ ٤٣١ .

(٢) حديث حسن ، انظر: صحيح ابن ماجه للألباني ٤٢٥٩ .

(٣)حديث صحيح ، انظر: صحيح سنن أبو داود للألباني ٤٧٩٩ وصحيح سنن الترمذي للألباني ٢٠٠٣، صحيح الجامع الصغير للألباني ١٣٤، والسلسلة الصحيحة للألباني ٨٧٦.

٣ـ إخبار النبي ﷺ بأمور الغيب ومشاهد القيامة، وما أخبر به من الغيوب الماضية والغيوب المستقبلة التي وقعت أو ستقع معجزة وخصيصة من خصائصه ﷺ، وهو مسلك من مسالك تقرير نبوته وصدق رسالته ﷺ.

٤ـ سوء الخلق خطيئة تفوح! وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً.

٥ـ الأمور بمقاديرها والأعمال بخواتيمها.

١٥ الحديث الخامس عشر

من نصائح النبي ﷺ وتوجيهاته لأمته

عن ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - قال: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَمْسٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ فَهُوَ مُضَادٌّ اللهَ فِي أَمْرِهِ، وَمَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِغَيْرِ حَقٍّ فَهُوَ مُسْتَظِلٌّ فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّى يَتْرُكَ، وَمَنْ قَفَا مُؤْمِنًا أَوْ مُؤْمِنَةً حَبَسَهُ اللهُ فِي رَدْغَةِ الْخَبَالِ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ، وَمَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ أُخِذَ لِصَاحِبِهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ لَا دِينَارَ ثَمَّ وَلَا دِرْهَمَ، وَرَكْعَتَا الْفَجْرِ حَافِظُوا عَلَيْهِمَا فَإِنَّهُمَا مِنَ الْفَضَائِلِ»[١]

لغة الحديث:

الشَّفاعَة: التَّجاوُزُ عن الذُّنوبِ والجرائم[٢].

مُضَادٌّ اللهَ: أي مخالف أمره لأن أمره إقامة الحدود[٣].

سَخَطِ اللهِ: هو الغضب الشديد المقتضي للعقوبة والسخط من الله - تعالى - إرادة العقاب وسخط الله في الدنيا: انقطاع عن قبول فيضه، وتوقيعه في الآخرة عقوبة[٤].

قفا مؤمناً: أي قال في مؤمن ما ليس فيه قال ﷺ: «..وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا

---

(١)حديث صحيح ، انظر: صحيح سنن أبي داود الألباني ٣٥٩٧، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٦١٩٦، والمسند للإمام أحمد ٥٥١٩، وإرواء الغليل ٢٣١٨ للألباني.

(٢)سبق بيان معناها ص ١٥.

(٣) مرقاة المفاتيح ٧/ ١٨١ .

(٤) الفرق ١/ ١٣٣ ، والتعاريف ١/ ٦٢١ .

لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ »[١].

رَدْغَةَ الْخَبَالِ : هي طين ووحل كثير، والخبال في الأصل الفساد موضع في جهنم مثل الحياض يجتمع فيه صديد أهل النار وعصارتهم[٢].

ثَمَّ ـ بفتح الثاء ـ: هناك.

معنى الحديث:

نيل رضا الله ـ سبحانه وتعالى ـ غاية كل مؤمن ومبتغى كل تقي يبحث عن ما أُمر به فيتبعه وعما حرمه الشارع أو كرهه فيجتنبه وفي هذا الحديث جملة من الأحكام ذات الفوائد العظيمة في الفضل أو في التحريم، وأول هذه الأحكام قوله ﷺ: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ فَهُوَ مُضَادُّ اللهِ فِي أَمْرِهِ» فإن شفع في سقوط الحد بعد أن بلغ الإمام وثبت عنده فيشفع عند الإمام منعاً لوقوعه فهو بذلك قد خالف أمر الله ـ تعالى ـ لأن أمره إقامة الحدود[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : «وهذا القسم يجب إقامته على الشريف والوضيع والقوي والضعيف، ولا يحل تعطيله لا بشفاعة ولا بهدية ولا بغيرهما، ولا تحل الشفاعة فيه، ومن عطّله وهو قادر على إقامته فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً وهو ممن اشترى بآيات الله ثمناً قليلاً»[٤].

---

(١) حديث صحيح ، انظر: صحيح سنن أبي داود الألباني ٣٥٩٧، صحيح الجامع الصغير للألباني ٦١٩٦ والمسند للإمام أحمد ٥٣٦٢.

(٢) مرقاة المفاتيح ٧/ ١٨١ .

(٣) مرقاة المفاتيح ٧/ ١٨١ ، والتيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٤١١ .

(٤) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ٢٨/ ٢٩٨.

وفي السنة خير بيان لذلك كما جاء في حديث الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»[1] فلا شفاعة في حدود الله بل على الجميع العمل على نفاذها تطبيقاً لشرعه ـ سبحانه ـ وسدا للذرائع ومنعاً للجرائم والفواحش.

ومن هذه الأحكام أيضاً قوله ﷺ: «وَمَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِغَيْرِ حَقٍّ فَهُوَ مُسْتَظِلٌّ فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّى يَتْرُكَ» فمن أعان على خصومة بكلمة أو فعل وهو يعلم أنه ظالم؛ فهو في سخط من الله ـ سبحانه ـ يحيطه ويظله؛ فلا يفارقه حتى يعود عن ذلك[2] بل لا تصح وكالته إن عُلِم بظلمه قال الإمام ابن مفلح ـ رحمه الله ـ :«لا تصح وكالة من عَلِم ظلم مُوَكِّله في الخصومة فظاهره يصح إذا لم يعلم والظاهر أن مراده بالعلم أيضاً الظن، وإلا فبعيد جِدًّا القول به مع ظن ظلمه، قال شيخ الإسلام : إذا كان الإحضار إلى من يظلمه أو إحضار المال إلى من يأخذه بغير حق فهذا لا يجب بل ولا يجوز فإن الإعانة على الظلم ظلم، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[3][4]» .

ومن الأحكام أيضاً قوله ﷺ: «وَمَنْ قَفَا مُؤْمِنًا أَوْ مُؤْمِنَةً حَبَسَهُ اللهُ فِي رَدْغَةِ

(١)رواه البخاري ٣٤٧٥ .

(٢)التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٤٠١ .

(٣) المائدة:٢.

(٤) انظر: الآداب الشرعية ١/ ٥٨ ، وكتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ٣٥/ ٤٠٣

الْخَبَالِ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ» فمن وصم مؤمناً بالمساوئ والعيوب والافتراءات التي ليست فيه كذباً وبهتاناً أسكنه الله رَدْغَةَ الْخَبَالِ وهو موضع في جهنم مثل الحياض يجتمع فيه صديد أهل النار وعصارتهم، كثير الطين والفساد حتى يخرج من إثمه باستيفاء عقوبته، أو باستدراك شفاعته، أو بإلحاق مغفرته، أو بتوبة من قبل ذلك وخروجه مما رماه به فيتوب عن ذنبه ويستحل من المقول فيه[1]؛ لأنه قد ظلمه بالافتراء عليه فيجب عليه أن يستبرئ ذمته، فيستسمحه ويتوب إلى الله ـ تعالى ـ توبة نصوحاً.

ومن الأحكام المذكورة في هذا الحديث أيضاً قوله ﷺ: **«وَمَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ أُخِذَ لِصَاحِبِهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ لَا دِينَارَ ثَمَّ وَلَا دِرْهَمَ»** ذلك لأن الدين من حقوق العباد، فجعل من يموت وعليه دين لم يُوَفَّ أن يؤخذ من حسناته يوم لا يكون دينار ولا درهم.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: «وكان النبي ﷺ لا يصلي على من مات وعليه دين لم يخلف به وفاءً لئلا يتساهل الناس في الاستدانة ويهملوا الوفاء فزجرهم عن ذلك بترك الصلاة عليهم، فلما فتح الله على المسلمين مبادئ الفتوح قال ﷺ: «مَنْ تَرَكَ دَيْناً فَعَلَيَّ قَضَاؤه»»[2] فكان ﷺ يقضي عن المدين؛ وذلك تنبيهاً منه ﷺ على الاهتمام بحقوق الغير وعدم إهمال وفائها.

وآخر هذه الأحكام التي وردت في الحديث قوله ﷺ: **«وَرَكْعَتَا الْفَجْرِ حَافِظُوا عَلَيْهِمَا فَإِنَّهُمَا مِنَ الْفَضَائِلِ»** فهو توجيه نبوي للتنبيه على ركعتي الفجر لعظم شأنهما وذكر سبب ذلك بقوله أنهما من الفضائل، وفي حديث آخر قال ﷺ:

---

(١) مرقاة المفاتيح ٧/ ١٨١ .

(٢) شرح النووي ٦/ ١٥٥

«رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[1] أي من متاع الدنيا.

نسأل الله الإعانة على فعل الطاعات والعصمة من الوقوع في الشرور والموبقات إنه سميع مجيب.

ما يرشد إليه الحديث:

١ـ من بلاغة النبي ﷺ أن يوجه كلامه للناس بصيغة السؤال أحياناً؛ لأن السؤال يشد انتباه السامعين؛ فيؤدي إلى ترسيخ الجواب في الأذهان.

٢ـ العناية بحقوق العباد الحسية والمعنوية.

٣ـ عظم شأن المحافظة على ركعتي الفجر وفضلهما.

٤ـ حرص الصحابة ـ رضوان الله عنهم ـ على تعلم أمور دينهم وأمانتهم في التبليغ عن النبي ﷺ.

---

(١) رواه مسلم ٧٢٥.

١٦

الحديث السادس عشر

ذنوب لا يكفرها إلا التوبة

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «خَمْسٌ لَيْسَ لَهُنَّ كَفَّارَةٌ: الشِّرْكُ بِاللهِّ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَتْلُ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، أَوْ نَهْبُ مُؤْمِنٍ أَوْ الْفِرَارُ يَوْمَ الزَّحْفِ، أَوْ يَمِينٌ صَابِرَةٌ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالًا بِغَيْرِ حَقٍّ»(١).

لغة الحديث :

الكَفَّارَةُ : (أصلها من الكَفْرِ بفتح الكاف وهو الستر لأنها تستر الذنب وتذهبه هذا أصلها ثم استعملت فيما وجد فيه صورة مخالفة أو انتهاك وإن لم يكن فيه إثم كالقاتل خطأً وغيرُه(٢))

النَّهْبُ : (هو أخذ المرء ما ليس له جِهَاراً(٣))

صَابِرَةٌ :أي يمين مصبورة: (فاعل بمعنى مفعول) والمقصود بها: الملزمة بالقضاء والحكم)(٤).

معنى الحديث:

المرء محاسب على كل ما يكسبه من أعمال أو يقترفه من آثام وما ينطق من كلمة أو يعمل من عمل إلا سُجِّلَ عليه فإن كان خيراً كان خيراً له، وإن كان غير ذلك هوى وخاب وخسرقال ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهَّ لَا

---

(١)حديث حسن، انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني ٣٢٤٧، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني ٢٨٤٦، وإرواء الغليل ٢٥٦٤ .

(٢)تحرير ألفاظ التنبيه ١/ ١٢٥ .

(٣)فتح الباري ٥/ ١٢٠ .

(٤)مرقاة المفاتيح ٦/ ٥٣٧ .

يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»[١] وما يرتكب المرء من ذنب فهو محاسب عليه ومعاقب؛ فإن كان الذنب مما يُكَفَّرُ كأن كان مما يكفره ويمحيه الطاعات كالصدقة والصلاة فإن ذلك كفارة له قال ﷺ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ »[٢]، وإن كان جرمه عظيماً وإثمه كبيراً، فلا ينفعه شيء من ذلك إلا التوبة والإنابة إلى الله؛ ولذلك كان بداية قوله ﷺ: «خَمْسٌ لَيْسَ لَهُنَّ كَفَّارَةٌ» أي لا يمحو الإثم الحاصل بسببهن شي من الطاعات؛ فهي لا كفارة لها إلا التوبة منها ولا توبة في مثل القتل إلا بتسليم النفس للقصاص. وأول هذه الأعمال التي لا كفارة لها «الشِّرْكُ بِاللهِ» أي الكفر به سبحانه قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٣]؛ فالشرك بالله من أعظم الذنوب التي لا يغفرها الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلا بالتوبة والإنابة؛ لأنه من أكبر الكبائر. جاء في الحديث عنه ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ـ ثَلَاثًا ـ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ الْإِشْرَاكُ بِالله....»[٤].

وثاني هذه الأعمال «قَتْلُ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ» والمراد (النفس المعصومة المحرم قتلها)[٥]؛ لأن النفس المسلمة معصومة الدم إلا في إحدى ثلاث، كما قال ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ

---

(١)مرقاة المفاتيح ٦/ ٥٣٧ .

(٢)رواه البخاري ١٨٩٥.

(٣) النساء: ٤٨ .

(٤)رواه البخاري ٢٦٥٤.

(٥) التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٥٢١ ، وانظر: فيض القدير ٣/ ٤٥٨

النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالثَّيِّبُ الزَّانِي وَالْمَارِقُ مِنْ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ»[١]؛ فمن تعدى فله العقاب من الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[٢] ولا يكفر ذنبه هذا الذي اقترفه عمل أو قربة من القربات إلا أن يسلم نفسه للقصاص، وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «المسلم معصوم الدم لا يجوز انتهاك حرمة دمه إلا إذا اقترف ما يوجب ذلك»[٣].

ومن الأعمال التي لا يكفرها إلا التوبة: نَهْبُ الْمُؤْمِنِ أي أخذ ماله قهراً جهراً[٤] وهو جرم عظيم لا تكفير له إلا بالتوبة والإنابة ورد الحق المنهوب؛ لأن أخذ الحقوق قهراً ذنب عظيم محرم سواء أكان من مؤمن أم من غيره وخُص المؤمن هنا بالذكر؛ لأنه أعظم وأشد.

ومن المنكرات المحرمة الْفِرَارُ يَوْمَ الزَّحْفِ أي التولي والهرب من لقاء الكفار في القتال عند ازدحام الصفوف، والإعراض عن الحرب، والفرار من الكفار، «ومذهب جمهور العلماء أنه كبيرة من أعظم الكبائر»[٥] قال ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝١٥ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ

(١) رواه البخاري ٢٦٥٤.

(٢) النساء: ٩٣.

(٣) فتح الباري ١/ ٧٧.

(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٥٢١.

(٥) شرح مسلم للنووي ٢/ ٨٨، وعمدة القاري ١٤/ ٦٢.

وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾(١) فهذا أمر عظيم يَفُتُّ في عضد المسلمين ويلقي في قلوبهم الخيبة لما يروا من يفر ويدبر من المسلمين؛ لذا كان ذنباً يستحق فاعله وعيد الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

وآخر هذه المحرمات اليمين الكاذبة الفاجرة التي يقتطع بها الحالف مال غيره بغير حق، فيحلفها ويلزم بها غيره بالقضاء والحكم(٢) ظالماً عامداً فإثم ذلك عظيم يقول ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ مَصْبُورَةٍ كَاذِبًا فَلْيَتَبَوَّأْ بِوَجْهِهِ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (٣) وجزم كثير من العلماء أنها ـ اليمين الغموس ـ التي تَغْمِسُ صاحبَها في النار(٤) فمن يكسبْ حلالاً يُبَارَكْ له فيه، ومن يتجرأ فيقترف حراماً فإن ذلك لا يغنيه؛ فالحرام لا يغني ولا يسد حاجة، قال ﷺ: «فَمَنْ يَأْخُذْ مَالًا بِحَقِّهِ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ يَأْخُذْ مَالًا بِغَيْرِ حَقِّهِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ »(٥).

فهذه خمس خصال من الأعمال منهي عنها لا كفارة لها إلا بالتوبة النصوح وتأدية الحقوق والتخلص من التبعات قبل المهات، نسأل الله العفو والعافية.

ما يرشد إليه الحديث:

١ـ الذنوب نوعان: نوع تكفره الطاعات، ونوع آخر لا كفارة له إلا بالرجوع والتوبة إلى الله بشروطها المعروفة.

٢ـ قليل من المال يكتسبه المرء من حله يكفي ويبارك له فيه وكثير منه يكتسبه من

---

(١) الأنفال: ١٥ ـ ١٦.

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح ٦/ ٥٣٧ ، وعون المعبود ٩/ ٥٠ .

(٣)رواه البخاري (٦٨٧٨) .

(٤) فتح الباري ١١/ ٥٥٧ .

(٥) رواه مسلم ١٠٥٢ .

غير حله لا يكفي ولا يبارك له فيه؛ فقليل يَكْفِي خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُلْهِي.

٣ـ أهمية التحام الصفوف عند الزحف وائتلاف القلوب والمشاعر وعدم ترك ثغرة للأعداء للنيل من المجاهدين في سبيل الله.

٤ ـ اليمين الغموس تغمس صاحبها في النار وهي اليمين الفاجرة المنهي عنها.

٥ ـ أهمية حفظ الضرورات الخمس: (الدين، والعرض، والمال، والنفس، والعقل)؛ إذْ إن في حفظها قِوام الدين والدنيا معاً.

٦ ـ الألف واللام الداخلة على الأوصاف وأسماء الأجناس تفيد الاستغراق ومنها: (الشرك بالله ـ الفرار يوم الزحف، قتل النفس وهكذا ... إلخ. وهكذا كل وصف أمر الله به ورتب عليه خيراً وأجراً وثواباً، وكذلك ما يقابله من كل وصف نهى الله عنه ورتب عليه وعلى الاتصاف به عقوبة وشراً ونقصاً ونكالاً يكون له من ذلك بحسب ما قام به المكلف من الوصف المذكور.

١٧

الحديث السابع عشر

مَا يُدْخِلُ العَبْدَ الجَنَّةَ

عَنْ أَبِي سَلَّامٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ عَنْ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَخٍ بَخٍ لِخَمْسٍ: مَنْ لَقِيَ اللهَ مُسْتَيْقِنًا بِهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالْبَعْثِ، بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْحِسَابِ»[(١)].

التعريف بالراوي:

أَبو سَلَّام: هو التابعي الجليل أبو سلَّام الأكون الحبشي، وكنيته أبو سلَّام، روى ورُوي عنه ـ رضي الله عنه ـ، وممن روى عنهم الصحابي الجليل (ثوبان بن بجدد) مولى رسول الله ﷺ وهو راوي هذا الحديث، وروى عن عبد الرحمن بن عائش وغيرهم؛ أقام بالشام وروى عنه ابنه معاوية وغيره من أهل الحديث[(٢)].

وثوبان بن بجدد: هو الصحابي الجليل أبو عبد الله الهاشمي، مولى رسول الله ﷺ سكن الشام، وكنيته أبو عبد الله، أصله من اليمن له صحبة، ويقال هو من أهل السَّراة، ويذكرون أنه من حِمْيَر، تحول إلى حِمْصَ فنزلها، له بها دار، مات سنة أربع وخمسين في ولاية معاوية، وكان يسكنُ حِمْصَ[(٣)].

لغة الحديث:

بَخٍ بَخٍ: كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء أو الفخر[(٤)].

مُسْتَيْقِنًا: اليقين العلم وإزاحة الشك، وتحقيق الأمر، وقد أيقن يوقن إيقاناً

---

(١) حديث صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني ٢٨١٧ وصحيح الترغيب والترهيب للألباني ١٥٥٧، وظلال الجنة ٧٨١، ورواه الإمام أحمد في المسند ١٥٢٣٥.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٩٧، وتاريخ دمشق ٢٢/ ٤٣١.

(٣) انظر: الثقات ٣/ ٤٨، ورجال مسلم ١/ ١١٢.

(٤) القاموس المحيط ١/ ٣١٧.

واستيقنه واستيقن[١].

الْبَعْثِ: البعث أصله إثارة الشيء قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾[٢] أي يخرجهم ويسيرهم إلى القيامة[٣].

معنى الحديث:

الجنة مقصدُ كلِّ إنسان ومبتغاه، وهي سِلعة الله الغالية، وهي الحياة، وأَنْعِمْ بها من حياة!! وفي هذا الحديث يبين لنا الرسول ﷺ «**خمساً من الأعمال**».

أولها: من لقي الأجل الذي قدره الله له (يعني الموت) موقناً يقين العلم المقتضي للإيمان (مؤمناً بجميع ما يجب الإيمان به)[٤] دخل الجنة، بأَنْ فَعَلَ ما أُمِر به وانتهى عما نُهِيَ عنه، وقد فَصل ذلك ﷺ في حديثٍ آخرَ مخاطباً بعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بقوله: «قَالَ أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِالله وَحْدَهُ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنْ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ»[٥] فمن فعل ذلك وأتى الله بحقه دخل الجنة، والإيمان بالله يستوجب الإيمان باليوم الآخر، والمقصود من الإيمان باليوم الآخر التصديق بأن لأيام الدنيا نهاية وأنها إلى فناء يخرب عمرانها ويموت سكانها وتذهب بهجتها وتبيد خُضرتها؛ فيترك الركون إليها والاغترار بها، فمن آمن بذلك وآمن بكل ما بعد الموت الذي إليه

---

(١)لسان العرب ١٣/ ٤٥٧.

(٢) الأنعام: ٣٦.

(٣)التعاريف ١/ ١٣٦.

(٤)فتح الباري ١/ ٢٢٨.

(٥)رواه البخاري ٥٣ .

معاده وفيه جزاؤه وآمن ما فيه من الأحوال والأهوال.... دخل الجنة[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ على لسان الجمهور من أهل السنة والجماعة: (إنهم لا يُسَمُّونَ مؤمناً بالجنة والنار إلا من رجا الجنة وخاف النار دون المُعْرِض عن ذلك بالكلية مع علمه بأنه حق)[٢].

ثم الإيمان «بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ»أي يؤمن بوقوع البعث بعد الموت. «وَذَكَرَ الموتَ مع أن الموت ظاهر لا ينكر، والبعث خفي ينكر إشارة إلى أن أدلة البعث ظاهرة، وإلى أنهم يتمادَوْنَ في الغفلة عن ذكر الموت، فالبعث هو الإخراج من بطون القبور إلى محل الحشر والنشور ودار الجزاء وإحياء الموتى من قبورهم وما بعده من حساب وميزان وجنة ونار»[٣].

ومن متممات الإيمان بالله ـ تعالى ـ الإيمان بالحساب: وما به من سجلات لأعماله فيها ما قدم من خير وما اقترف من شر «فَمَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَلَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»[٤] وصح عنه ﷺ أنه قال:«لَتُؤَدَّنَّ[٥] الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

---

(١) انظر: شرح الزرقاني ٤/ ٣٨٣، وفيض القدير ٢/ ٤٤٣ والتيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٤٣٩.

(٢)مجموع الفتاوى ٧/ ١٢٥.

(٣) مرقاة المفاتيح ١/ ١١٨، ١/ ٢٨٢.

(٤)رواه البخاري ٢٤٤٩.

(٥) (لتؤدَّن) بفتح الدال المشددة. قال التُّربشتي: هو على بناء المجهول والحقوق مرفوع، هذه هي الرواية المعتد بها، ويزعم بعضهم ضم الدال ونصب الحقوقَ والفعل مسند إلى الجماعة الذين=

حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنْ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»[(١)] فمن آمن بالحساب وعمل له حق له وعد الله على لسان نبيه محمد ﷺ وكانت له الجنة خالداً فيها حَسُنَتْ مستقراً ومقاماً!! نسأل الله الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ونعوذ به من النار وما قرب إليها من قول وعمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ الإيمان باليوم الآخر ملازم لتوحيد الله ـ تعالى ـ ومن آمن باليوم الآخر آمن بما تعلق به من حساب وجزاء وثواب وعقاب وكلها قضايا أساسية في العقيدة الإسلامية.

٢ ـ على ضوء الإيمان بهذه الخمس المذكورة في الحديث يحدد المسلم هدفه ويرسم غايته ويتخذ من الوسائل والذرائع ما يوصله إلى الهدف ويبلغ به الغاية.

٣ ـ البعث بعد الموت من الحقائق الثابتة والبراهين الساطعة نؤمن ـ نحن المسلمين ـ بذلك ونستيقنه، كما ورد في الكتاب والسنة، ومن أنكر هذه الحقيقة فهو كافر مكابر معاند؛ لأنه حينئذ قد أنكر معلوماً من الدين بالضرورة!

٤ ـ جعل الله الأسباب للمطالب العالية مبشرات لتطمئن القلوب وزيادة رصيد المؤمن من الإيمان، ومن ذلك ... (بخ بخ خمس) من لقي الله مستيقناً بهن دخل الجنة.

=خوطبوا به والصحيح ما قدمناه انتهى. (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام الحافظ أبي العلى محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، وضبطه وراجع أصوله وصححه عبدالرحمن محمد عثمان، الجزء السابع، حديث رقم: (٢٥٣٥).

(١) رواه مسلم (٢٥٨٢).

١٨ الحديث الثامن عشر

ما يُثَقِّل الميزان ويُرْضِي الرحمن

عَنْ أَبِي سَلَّامٍ ـ رَضِيَ الله عنه ـ، عن مَوْلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ «أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ: «بَخ بَخ، خَمْسٌ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ وَاللهُّ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللهَّ وَالْحَمْدُ للهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ، وَالِدَاهُ»[١].

التعريف بالراوي:

سبق التعريف به وبثوبان مولى رسول الله ﷺ في الحديث السابق[٢].

لغة الحديث:

بَخٍ بَخٍ : قال ابن الأنباري معنى بخ بخ: تعظيم الأمر وتفخيمه[٣].

سُبْحَانَ الله : سبحت الله ونزهته عن كل عيب[٤].

فَيَحْتَسِبُهُ: (الاحتساب كالعدة من الاعتداد وهو الاحتساب في الأعمال الصالحة وعند المكروهات والبدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر وباستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجو منها[٥].

---

(١) حديث صحيح ، انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني ٢٨١٧ وصحيح الترغيب والترهيب للألباني ١٥٥٧ وظلال الجنة ٧٨١ ، ورواه الإمام أحمد في المسند ١٥٢٣٥.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٩٧، وتاريخ دمشق ٢٢/ ٤٣١.

(٣) لسان العرب ٣/ ٦.

(٤) غريب الحديث للخطابي ١/ ١٤٠.

(٥) تحفة الأحوذي ٩/ ٣٤٦.

معنى الحديث:

ينبغي للمرء المسلم أن يسعى دائماً للفوز بثواب الله ـ سبحانه ـ فلا يدع باباً فيه خيره ولا طريقاً فيه أجره ومثوبته إلا ابتغاه.

والعلم والتفقه في الدين هو سبيل الوصول إلى هذه الغاية النبيلة، وهناك من الأعمال والأقوال ما قل وقتها وعظم شأنها ثقّلت الميزان في ثوابها وأجرها عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عنهما - عَنْ جُوَيْرِيَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عنها ـ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا! قَالَتْ: نَعَمْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»[1]؛ فالفوز بثقل الميزان هو هدف كل امرئ، فالدنيا ما هي إلا معبر وممر للآخرة؛ فجامع الخير في سعادة بالفوز بمبتغاه، وجامع الشر ما أخيب مرتجاه.

وفي هذا الحديث ذكر النبي ﷺ خمساً من الأعمال تُثَقِّل الميزان وتُرضي الرحمن يوم القيامة، أولها: كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» وهي الشاملة لسر العبودية، فيتجسد أجرُها وثوابها يوم القيامة حين توضع في الميزان[2] وقد صح عنه ﷺ في حديث عَبْدِ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢٦).

(٢) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٤٣١، وفيض القدير ٣/ ١٩٧.

يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ! فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ! قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»[1] فما أعظمَ أجرَها وما أجلَّها من كلمات تنجِّي من النار وتُرضِي العزيز الغفار!!

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ بذكر الله ـ تعالى ـ تطمئن القلوب ويعظم الأجر والثواب.

٢ ـ توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الأعمال فالمحسن لا يُبْخَسُ شيئاً والمسيء لا يظلم شيئاً وإن كان مثقال الخردل جيء به ولا يظلم ربك أحداً!.

٣ ـ من حسنت نيته وصلح عمله عطَّر لسانه بذكر الله ورضي قلبه بقضاء الله؛ فالأعمال الظاهرة والباطنة موكول أجرها وثوابها إلى الله ـ تعالى ـ.

---

(١) حديث صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني ٢٦٣٩، وصحيح سنن ابن ماجه للألباني ٤٣٠٠، وصحيح الجامع الصغير للألباني ١٧٧٦، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني ١٥٣٣، ومشكاة المصابيح ٥٥٥٩، رواه الإمام أحمد في المسند ٦٩٥٥، والسلسلة الصحيحة للألباني ١٣٥.

١٩ الحديث التاسع عشر

خصال تكون سبباً في دخول الجنة

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «خَمْسٌ مَنْ عَمِلَهُنَّ فِي يَوْمٍ كَتَبَهُ اللهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ: مَنْ عَادَ مَرِيضاً، وَشَهِدَ جِنَازَةً، وَصَامَ يَوْماً، وَرَاحَ إِلَى الجُمُعَةِ، وأَعْتَقَ رَقَبَةً»[١].

لغة الحديث:

عاد مريضا : زاره[٢]

شهد جنازة : حضرها[٣].

راح إلى الجمعة : مشى إليها وذهب إلى الصلاة[٤].

أعتق رقبة : فك رقبة وخصت الرقبة دون جميع الأعضاء؛ لأن ملك السيد لعبده كالحبل في رقبته[٥].

معنى الحديث:

لما كان من رسالة المسلم نصح الناس وتوجيههم وإرشادهم والأخذ بأيديهم إلى صراط العزيز الحميد لزمه ذلك أن يبحث عن الوسائل والأساليب التي تكسب ود الناس وتؤثر فيهم وتستميل قلوبهم نحوه، وليس هناك أكثر

---

(١)حديث صحيح ، انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني (٣٢٥٢) وصحيح الترغيب والترهيب للألباني (٦٨٦) والسلسلة الصحيحة (١٠٢٣) .

(٢)مشارق الأنوار ٢/ ١٠٥.

(٣)التيسير بشرح الجامع ٢/ ٢٥٣.

(٤) لسان العرب ٢/ ٤٦٥.

(٥) تهذيب الأسماء ٣/ ١٩٠.

تأثيراً واستمالة لقلوبهم من رعاية الآداب الاجتماعية كعيادة المريض وشهود الجنازة وبذل النصيحة وحضور جماعة المسلمين وشهود جُمَعِهِمْ والصلاة معهم، وتفريج كربة من هم في أسر العبودية وذل السؤال فيعتق من رقابهم يريد بذلك وجه الله والدار الآخرة، وفي هذا الحديث ذكر لنا النبي ﷺ خمس خصال من فعلها كتبه الله من أهل الجنة إذا عملها في أي يوم كان، كتبه الله أي قدر أو أمر الملائكة أن تكتب أنه من أهل الجنة وهذا علامة على حسن الخاتمة وبشرى له بذلك[1].

وأولى هذه الخصال: «عيادة المريض» فمن زار مريضاً ولو أجنبياً[2] كان ممن يكتب له الجنة، وقد صح عن الرسول ﷺ أحاديث عديدة في فضل زيارة المريض، منها قوله ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ»[3] أي في بساتينها وفي رياضها بل هو في فضل عظيم وثواب جم قال ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنْ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا»[4]، ويستحب للعائد أن يستن بسننه ﷺ في الزيارة من التخفيف فيها واختيار وقتها والدعاء للمريض فصح عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مِرَارٍ: أَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ إِلَّا

---

(١) انظر: فيض القدير ٣/ ٤٥٧، والتيسير بشرح الجامع الصغير ٣/ ٤٥٧

(٢) فيض القدير ٣/ ٤٥٧.

(٣) رواه مسلم ٢٥٦٨.

(٤) حديث حسن، انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني ٦٣٨٧، وصحيح سنن الترمذي للألباني ٢٠٠٨، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني ٢٥٧٨، ورياض الصالحين بتخريج الألباني ٣٦٦ .

عَافَاهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ»[١] .

وثاني هذه الخصال: شهود الجنازة يحضرها ويصلي عليها[٢] فله موعود النبي ﷺ حينئذ، وقد تعددت الأحاديث في فضل الصلاة على الجنازة واتباعها، ومنها قوله ﷺ: «مَنْ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا؛ فَإِنَّه يَرْجِعُ مِنَ الْأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ»[٣].

وثالث هذه الخصال: صيام يوم يبتغي به وجه الله تعالى ومرضاته وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «... وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ .... الحديث»[٤] فالصوم لله سبحانه وحده من أجله وابتغاء مرضاته فله الثواب الموعود على لسان الصادق المصدوق ﷺ.

ويساوي ما سبق في الأجر **الرواح إلى الجمعة** أي إلى محلها لصلاتها وهو **رابع الخمس خصال**؛ فإن يوم الجمعة من أفضل الأيام، وفضله عظيم، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ»[٥] ومن فضله ما نص عليه الحديث من أنه من راح إلى الصلاة

---

(١) حديث صحيح ، انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني ٦٣٨٨، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني ٣٤٨٠، وصحيح سنن أبي داود للألباني ٣١٠٦، وصحيح الكلم الطيب ١٥٠ ص ١٣٢ .

(٢) فيض القدير ٣/ ٤٥٧.

(٣) رواه البخاري ٤٧ .

(٤) حديث صحيح ، رواه الإمام أحمد في المسند ٢٢٨١٣، وانظر: صحيح الترغيب والترهيب للألباني ٩٨٥.

(٥) رواه مسلم ٢٣٣.

وحضرها ولم يلغ فيها كان له موعود المصطفى ﷺ بالجنة .

وآخر هذه الخصال الخمس: «عتق رقبة مؤمنة» يؤيد ذلك ما صح عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْ النَّارِ حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ»[1] فله بكل عضو من أعضائها عتق من النار فما أوسعَ فضلَ الله وثوابَه لمن أطاعه واتقاه، والله ذو الفضل العظيم.

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ سعة رحمة الله ـ تعالى ـ وتيسيره على عباده، حيث لم يكلفهم من العمل، ما يعجزون عن فعله.

٢ ـ ينبغي للمسلم أن يحرص على التحلي بكل ما هو نافع ومفيد له في الدنيا والآخرة.

٣ ـ تخصيص هذه الخمس إشارة إلى أهميتها وفضلها، وإلا فهناك من الفضائل والأعمال ما يؤدي إلى دخول الجنة غيرها، فليس المراد إذن من القصر الحصر.

---

(١) رواه البخاري ٦٧١٥.

٢٠

الحديث العشرون

الإسلام دين الأنبياء جميعاً وشرائعهم شرائعه(*)

عن الحارث الْأَشْعَرِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ النبي ﷺ قال إِنَّ اللهَ أَمَرَ يحيى بن زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بها وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بها وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بها، فقال عِيسَى إِنَّ اللهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بها وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بها فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ وَإِمَّا أنا آمُرَهُمْ فقال يحيى أَخْشَى إن سَبَقْتَنِي بها أَنْ يُخْسَفَ بِي أو أُعَذَّبَ فَجَمَعَ الناس في بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَامْتَلَأَ الْمَسْجِدُ وَتَعَدَّوْا على الشُّرَفِ فقال إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شيئا وَإِنَّ مَثَلَ من أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا من خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أو وَرِقٍ فقال هذه دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إلى غَيْرِ سَيِّدِهِ فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ وَإِنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ فإذا صَلَّيْتُمْ فلا تَلْتَفِتُوا فإن اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ في صَلَاتِهِ ما لم يَلْتَفِتْ وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ فإن مَثَلَ ذلك كَمَثَلِ رَجُلٍ في عِصَابَةٍ معه صُرَّةٌ فيها مِسْكٌ فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أو يُعْجِبُهُ رِيحُهَا وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ من رِيحِ الْمِسْكِ وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ فإن مَثَلَ ذلك كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إلى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ فقال أنا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ فَفَدَى نَفْسَهُ منهم وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ فإن مَثَلَ ذلك كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ في أَثَرِهِ سِرَاعًا حتى إذا أتى على حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ منهم كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ من الشَّيْطَانِ إلا بِذِكْرِ اللهِ»(1).

(*) وهو جزء من حديث طويل .... انظر تتمته في الحديث الحادي والعشرين بعده.

(1) جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد في المسند والترمذي في السنن من حديث الحارث الأشعري

لغة الحديث:

الوَرِقُ: الفضة يقال ورق بفتح الواو وبكسرها وبكسر الراء وسكونها[١].

إن اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ: صفة الوجه من الصفات الثابتة لله جل وعلا من غير تشبيه.

معنى الحديث:

يتوقف نجاح الإنسان في أدائه لرسالته على ظهر هذه الأرض وسعادته في الحياة الدنيا على أمور، منها:

حسن صلته بالله ـ عز وجل ـ تلك التي تتمثل في عبوديته لله ـ سبحانه ـ عبوديةً خالصةً من أي شائبة شرك أو بدع، وهذه الصلة المتينة بالله ـ تعالى ـ تثمر الانقياد والخضوع؛ لأوامر الله ـ تعالى ـ ونواهيه، وقد حفلت دعوة الرسل والأنبياء جميعاً بالأوامر والنواهي التي هي من أمر الله ونهيه قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾[٢]، فهم يرشدون العقل إلى معرفة الرب وما يجب أن يعرف من أسمائه وصفاته ويجمعون كلمة الخلق على إله واحد ويخلُّون السبيل بينهم وبينه وحده، وينهضون نفوسهم إلى التعلق به ـ جل

=مرفوعاً وعقب عليه الترمذي بقوله: هذا حديث حسن صحيح غريب، انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني (٢٥٦٣) وصحيح الجامع الصغير للألباني (١٧٢٤)، وانظر: صحيح ابن خزيمة ٢ / ٦٤، ومسند أحمد بن حنبل٤/ ٢٠٢ بتحقيق الألباني.

(١) فتح الباري ٣/ ٣١٠.

(٢) النحل: ٣٦.

جلاله ـ في جميع الأعمال والمعاملات ويذكِّرونهم بعظمته بفرض أنواع من العبادات؛ فيما اختلف من الأوقات تذكرة لمن ينسى وتزكية لمن يخشى.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾(١).

وفي هذا الحديث أمر يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ بني إسرائيل بخمس خصال أمره ربه بها؛ فعهد إليهم أن يتعلموها ويعملوا بها .

وأولى هذه الخمس: توحيد الله ـ سبحانه ـ وعدم الإشراك به وعبادته وحده وهذا هو أفضل الأعمال وأساس الملة والدين..... فإن الملك العظيم الكامل في ذاته، وصفاته، وعلمه، وقدرته، وملكه، وعزه وغناه عن جميع خلقه وافتقارهم جميعهم إليه لا يجوز شرعاً ولا عقلاً أن يجعل له شريكاً من خلقه في العبادة التي هي حقه عليهم؛ إذ كيف يجعل العبد معبوده، ويجعل المربون رباً ـ سبحان الله عما يشركون! وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ـ ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴾(٢).

وأما الخصال الأربع الباقية: فهي شرائع الإسلام وعباداته، وذكر منها:

---

(١) الشورى: ١٣ .

(٢) مريم: ٩٠ ـ ٩٥ .

(١) الصلاة (٢) والزكاة (٣) والصوم (٤) وذكر الله ـ تعالى ـ.

* فالصلاة قربٌ للعبد من الله، فيها يناجي ربه، وفي لقاء الله خشوع ورغبة؛ لذا ينبغي التأدب في هذا الموقف والبعد عما يتنافى مع جلال اللقاء؛ فإن العبد إذا قام يصلي؛ فإن الله ـ تعالى ـ قِبَلَ وجهه، وفي الالتفات سوء أدب بالإعراض عن الله ـ سبحانه وتعالى ـ، **والالتفات نوعان**: حسي بالبدن، ومعنوي بالقلب، ويستطيع المسلم أن يسيطر على بدنه أثناء الصلاة، ولمعالجة الالتفات المعنوي علّمنا رسول الهدى ﷺ أن يَتْفِلَ عن يساره ثلاث مرات وأن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم؛ **قال بعض السلف**: «أربعة في الصلاة من الجفاء الالتفات، ومسح الوجه، وتسوية الحصى، وأن تصلي بطريق من يمر بين يديك؛ فعليك أن تستقبل القبلة بوجهك، وأن تقبل على الله بقلبك، وأن تكون خاشعاً ذليلاً، وأن تجعل بصرك في موضع سجودك، ولا تلتفت يميناً أو شمالاً؛ فإن فعلت؛ فقد أفلحت ونجحت، قال ـ تعالى ـ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴾[1]

* **والصيام**: وهو صيام رمضان ويُعدُّ أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام، وقد أجمع المسلمون على فرضية صوم رمضان إجماعاً قطعياً معلوماً من الدين بالضرورة، ومن أنكر وجوبه فقد كفر .. وفقد فُرِض صيام رمضان في السنة الثانية من الهجرة، وصامه النبي ﷺ تسع سنين، وفي قول يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ وآمركم بالصيام إشارة إلى فضيلة من فضائل الصوم، وأن الله كتبه على جميع الأمم، وفرضه عليهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ

---

(١) المؤمنون: ١ ـ ٢.

ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١]؛ فالصيام لم يكن بدعاً بيننا نحن المسلمين؛ فقد سبق الإلزام الإلهي به للأمم الغابرة وعلى اختلاف في الكيفية وتعداد في الأيام.

تلك هي الحجة التاريخية في فرضية الصيام كما نص القرآن الكريم. بقيت الحجة العملية التي تترتب فيها النتائج على المقدمات وتخرج بها الثمرات، ومنها:

أن الصائم يغدو ورائحة فمه أطيب عند الله من ريح المسك؛ لأنها ناشئة عن عبادة الله وطاعته، وكلما نشأ عن عبادته وطاعته؛ فهو محبوب عنده يعوض صاحبه ما هو خير وأفضل وأطيب له.

* **وأما الصدقة**: والمراد بها الزكاة الواجبة وهي صنوة الصلاة والصيام؛ فمن لم يزكِ فليس بمسلم ينفعه عمله، وقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب؛ لأن الزكاة ركن من أركان الدين، وقاعدة في بنائه المتين فرضها الله في كتابه على عباده ووضحتها السنة النبوية وأجمعت على فرضيتها الأمة ومنكر فرضية الزكاة كافر مرتد؛ لأنها معلومة من الدين بالضرورة، ولم يخب لها نور في أي عصر من العصور تسد حاجة الفقراء، وتنشر المحبة والإخاء، وتطهر النفوس، وتنزع ما في الصدور، وتزكي المال وتنميه بالخيرات والبركات، ويضاعف الله ثوابها لصاحبها في الآخرة ... قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٢].

* **وأما ذكر الله**: فهو خامس الأوامر التي أمر الله أن يأمر يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ بني إسرائيل بها؛ فإن ذكر الله تستنزل بها الرحمات ويتحقق به

---

(١) البقرة: ١٨٣.

(٢) الحشر: ٩.

بركات الدنيا والآخرة ويكون بالقلب واللسان، والعمل بالقرآن والسنة على الوجه المشروع، ومعلوم أن ذكر الله يحيي القلوب بعد موتها؛ فإن مثل من يذكر الله ـ تعالى ـ ومن لا يذكره كمثل الحي والميت، كما أن ذكر الله يجعل القلوب مطمئنة يقويها على الطاعة، ويشفيها من الآفات والأدران ويطهرها من العلل والأدواء، وهو سبب من أسباب مغفرة الذنوب، والتقرب إلى علام الغيوب، ونزول السكينة، وهو حرز من الشيطان، وفي سعادة المرء في الدنيا والآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[١] .

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ جواز ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأفهام .

٢ ـ إلقاء الخبر بطريق السؤال أدعى لتنبيه الذهن وشحذ الهمة وتهيؤ المخاطب لما يطلب منه الإجابة عنه.

٣ ـ تقرير نبوة نبينا محمد ﷺ وأنه صدَّق المرسلين ودعا إلى ما دعوا إليه.

٤ ـ شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد نسخه[٢].

---

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) شرح مختصر الروضة للطوفي ٣/ ١٦٩.

٢١

الحديث الحادي والعشرون (•)

طاعة الرسول طاعة لله

عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «....وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ: اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ بِالْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُثَاءِ جَهَنَّمَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ صَامَ وَإِنْ صَلَّى قَالَ وَإِنْ صَامَ وَإِنْ صَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُمْ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ»(١).

التعريف بالراوي:

الْحَارِثُ الْأَشْعَرِي: هو الصحابي الجليل الحَارِثُ بن الحَارِث الأشْعَرِيّ أبو مالك كنَّاه أبو نعيم وَحْدَهُ له صحبة وعدّه في أهل الشام روى الحديث عن رسول الله ﷺ وروى عنه ربيعة الجرشي وعبد الرحمن بن غنم الأشعري وأبو سلاَّم ممطور الحَبَشِي وشريح بن عبيد الحضرمي وشهر بن حوشب وغيرهم كثير(٢).

(•) هذا الحديث متمم للحديث الذي قبله برقم (٢٠).

(١) حديث صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني ٢٨٦٣، المسند للإمام أحمد ١٦٧١٨، ومشكاة المصابيح بأحكام الألباني ٣٦٩٤، وصحيح الجامع الصغير للألباني ١٧٢٤، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني ٥٥٢.

(٢) انظر: أسد الغابة ١/ ٤٦٨، والاستيعاب ١/ ٢٨٤، والإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٥٦٦، ومن وافق اسمه اسم أبيه ١/ ٢٥، والتاريخ الكبير ٢/ ٢٦٠، والجرح والتعديل ٣/ ٩٤.

لغة الحديث:

رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ: ما شد المسلم به نفسه من عرى الإسلام أي حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه[١].

جُثَاءِ جَهَنَّمَ: أي من جماعتها[٢].

دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ: أي من دعا بسنة من سننها على الإطلاق التي لا توافق الشرع قولاً كان أم فعلاً[٣].

معنى الحديث:

في هذا الحديث أخبرنا النبي ﷺ بأن الله أمره بخمسة أوامر، ثم أمرنا النبي ﷺ بها، والأوامر الخمسة هي: الأول: الجماعة.

فالجماعة هي العزة والقوة وعليها مدار الدين فبها أَمَرَ وعليها بُني بل من أخص أسس قيامها: بأن تكون عن مودة وحب واتفاق وقد أرسى الشارع الحكيم القواعد لذلك وذلل السبل حتى أنك تجد أن من سار على نهج الدين وصل إليها بأسبابها وسبلها ومن شذ في شيء وحاد عن الطريق فهو آثم وقد صح عنه ﷺ أنه قال«مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[٤]؛ لأنه بذلك قد خالف أمر الله ـ تعالى ـ ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[٥] فيلحقُه من جرَّاء التفرق الفشلُ والإبادةُ والفناءُ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ

(١) تحفة الأحوذي ٨/ ١٣١.

(٢) فيض القدير ٢/ ١٧٧.

(٣) مرقاة المفاتيح ٧/ ٢٤٩.

(٤) رواه البخاري ٧٠٥٤.

(٥) آل عمران: ١٠٣.

وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾[1] وقد خص الله ـ سبحانه ـ الجماعة بالهداية وعدم الضلال، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ أَجَارَكُمْ مِنْ ثَلَاثِ خِلَالٍ أَلَا يَدْعُوَ عَلَيْكُمْ نَبِيُّكُمْ فَتَهْلَكُوا جَمِيعًا وَأَلَا يَظْهَرَ أَهْلُ الْبَاطِلِ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ وَأَلَا تَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلَالَةٍ»[2] وفي هذا الحديث يثني الرسول ﷺ على فعل هذه الخمس، ولا غرو فإنه ﷺ لا ينطق عن الهوى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٌ يُوحَىٰ﴾[3]: «وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ» تأكيداً على أهميتها والعمل بها، ومعلوم أن طاعة الرسول طاعة لله ـ تعالى ـ.

وَذِكْرُ هذه الخمس على سبيل الخصوص لا الحصر، أي خَصَّ هذه الخمس بالذكر دون غيرها، وأول هذه الخمس «الْجَمَاعَةِ» أي لزوم السواد الأعظم من أهل الإسلام؛ فإن الله لن يَجْمَع أمة الإجابة إلا على هدىً وحق وصواب، ومن خصائص أمة النبي محمد ﷺ أن إجماعهم حجة، قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَجَارَ أُمَّتِي مِنْ أَنْ تَجْتَمِعَ عَلَى ضَلَالَةٍ»[4]؛ فإنهم لا يجتمعون على ضلال كما يصرح به وصفه ـ سبحانه ـ لهم بأنهم ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾[5] لأن

---

(١) الأنفال: ٤٦.

(٢) حديث صحيح، انظر: صحيح سنن أبو داود للألباني ٤٢٥٣ وصحيح الجامع الصغير للألباني ١٨٤٨.

(٣) النجم: ٣ ـ ٤.

(٤) حديث حسن، قال الشيخ الألباني في السلسلة (حسن بمجموع طرقه)، وانظر: صحيح الجامع الصغير للألباني ١٧٨٦، وظلال الجنة ٨٢، والسلسلة الصحيحة ١٣٣١.

(٥) التوبة: ٧١.

مقتضى كونهم آمرين بكل معروف، ناهين عن كل منكر أنهم اتبعوا ما هم عليه من العقائد والقواعد وأحكام الدين.

فمن فارق الجماعة فهو إلى الشيطان أقرب، ولمسلكه أسرع، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنْ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمْ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمْ الْمُؤْمِنُ»[١].

الأمران والثالث: ذكره ﷺ بقوله: «وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ» (أي السمع والطاعة للإمام؛ فهي ثابتة وواجبة للإمام أو نائبه)[٢] طالما في طاعة، وقد خص ذلك الرسول ﷺ بالذكر في قوله: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ حَقٌّ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِالْمَعْصِيَةِ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»[٣]، والسمع والطاعة يكون في جميع الأحوال في الرخاء والشدة والضراء والسراء، روي عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ـ رضي الله عنه ـ، وَهُوَ مَرِيضٌ قُلْنَا أَصْلَحَكَ اللَّهُ حَدِّثْ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ سَمِعْتَهُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ؛ فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَلَّا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»[٤]؛ فإن السمع والطاعة يكونان للإمام أياً كان بقوله ﷺ: «قَالَ

---

(١) حديث صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني ٢١٦٥، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٢٥٤٦، وظلال الجنة (٨٨) والسلسلة الصحيحة ٤٣٠، والمسند للإمام أحمد ١١٥.

(٢) انظر: معبود ٧/ ٢٠٩، وشرح الزرقاني ٣/ ١٢ وفيض القدير ١/ ٥١٣.

(٣) رواه البخاري (٢٩٥٥).

(٤) رواه البخاري (٧٠٥٦).

اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»[١]، وذلك لما يترتب عليه من اجتماع الكلمة وعز الإسلام وقمع العدو وإقامة الحدود وغير ذلك.

والأمر الرابع: قوله ﷺ: «وَالْهِجْرَةِ» أي الانتقال من مكة إلى المدينة قبل فتح مكة ومن دار الكفر إلى دار الإسلام ومن دار البدعة إلى دار السنة ومن المعصية إلى التوبة[٢] لقوله ﷺ «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ»[٣]؛ فهجرة القلوب إلى رب الأرباب بترك المعاصي والآثام بالتوبة والإنابة إليه، وطاعة الإمام باقية إلى يوم القيامة.

الأمر الخامس: قوله ﷺ: «وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ» أي الجهاد في سبيل الله (لإعلاء كلمته ولنصرة دينه والدفاع عنه)[٤] عنه فهو أعلى درجات الإيمان وأفضلها على الإطلاق. ثم يؤكد ﷺ على لزوم الجماعة بقوله: «فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ»؛ فمن خرج عن الجماعة فقد خلع ما يشد المسلم به نفسه من عرى الإسلام أي حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه؛ فمن خرج من طاعة إمام الجماعة أو فارقهم في الأمر المجتمع عليه فقد ضل وهلك وكان كالدابة إذا خلعت الربقة التي هي محفوظة بها، فإنه لا يؤمن عليها عند ذلك الهلاكُ والضياعُ، فلا يجوز الخروج على السلطان ولو جار.

ثم يقول ﷺ: «فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُمُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ

---

(١) رواه البخاري ٦٩٣.

(٢) تحفة الأحوذي ٨/ ١٣١.

(٣) رواه البخاري ١٠.

(٤) تحفة الأحوذي ٨/ ١٣١ .

الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ» أي اقتصر لقب المؤمن والمسلم على أنه عبد لله كما سماهم الله وهو كل من استسلم لأوامره ـ سبحانه ـ وانقاد لها وآمن ووقر الإيمان في قلبه دون غيره ممن ادعى ذلك دون أن يظهر ذلك في فعله وقوله، فهذه جملة من الأوامر والأحكام بينها ﷺ في حديث بليغ جمع فصاحته ﷺ وبلاغته وجوامع كلمه، فاللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ فيه التنبيه إلى «**وجوب السمع والطاعة**» للإمام أياً كان ما لم يُظْهِرْ كفراً بَوَاحاً.

٢ ـ شرف العبودية لله ـ تعالى ـ وإطلاق التسمية على من اتصف بها بأنه مسلم، وبأنه مؤمن إذا ظهر ذلك في أقواله وأفعاله الظاهرة والباطنة.

٣ ـ النبي ﷺ مبلِّغ عن ربه ـ عزوجل ـ؛ فطاعته طاعة لله، وحدودها: «**طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يُعبد اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ**».

٤ـ جواز مراجعة المتعلم للمعلم فيما يشكل عليه فهمه وما يريد تقريره في ذهنه بما يزيل عنه الشبهة أو الشك.

٢٢

الحديث الثاني والعشرون

من صفات الله وعظيم آلائه

عَنْ أَبِي مُوسَى - رضي الله عنه - قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ»[1].

لغة الحديث:

النوم معروف لكل أحد واختلف في تعريفه من جهة بيان سببه، قال البيضاوي: النوم حال يعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الإحساس رأساً[2].

الْقِسْطَ: المِيزَانُ[3].

يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ: خَفْضُهُ تَقْلِيلُه ورَفْعُه تَكْثِيرُه وَالمُرَاد: يَرْفَعُ مِيزَانَ أَعْمَالِ العِبَادِ المُرْتَفِعةَ إِليه وأَرْزَاقهم النَّازِلَة من عِنْده[4].

حِجَابُهُ النُّورُ: الحجاب الستر وفي صفة الله ـ تعالى ـ راجع إلى ستر الأبصار ومنعها من رؤيته، فهو الذي يُستدل به عليه، كما يستدل بالحجاب على المُلْكِ المُحْتَجِبِ[5].

---

(١) انفرد به الإمام أحمد، المسند ٢٥٣٨٣.

(٢) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار للإمام محمد رشيد رضا ٢/ ٣٠ ط دار الفكر/ لبنان.

(٣) تاج العروس ٢٠/ ٢٥.

(٤) تاج العروس ٢٠/ ٢٥.

(٥) انظر: الفائق ٣/ ١٩٤، ومشارق الأنوار ١/ ١٨١.

معنى الحديث:

تنزَّه رب العزة والجلال عن صفات الأجسام وعوارضها، واتصف بكل كمال وتمام يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه؛ فهو ـ سبحانه ـ لا يتصف بصفة من صفات الخلائق (كالنوم والتعب) قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[١] قال ابن زيد ـ رضي الله عنه ـ في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ قال: «لم يمسنا في ذلك عناء ذلك اللغوب»[٢]، وفي هذا الحديث وصف النبي ﷺ رب العالمين وإله الأولين والآخرين، بصفات خمس، أولها: قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ**» قال ـ تعالى ـ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾[٣].

وثاني هذه الخصال: قوله ﷺ: «**يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ**» (فالقسط هو الميزان؛ فهو المالك ـ سبحانه ـ وحده يملك محاسبة العباد ورزقهم والعفو عنهم فالله ـ سبحانه ـ وتعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يزن من أعمال العباد المرتفعة ويزن من أرزاقهم النازلة وهذا تمثيل لِمَا يقدِّر تنزيله فَشُبِّه بوزن الميزان[٤]) قال الإمام السيوطي ـ رحمه الله ـ: «أي يُنقِصُ الرزقَ باعتبار ما كان يمنحه قبل ذلك ويَزِيده بالنظر لمقتضى قدره الذي هو تفصيلٌ لقضائه الأول؛ فمحْصُوله يقلل لمن يشاء ويكثر لمن يشاء بالقسط، أو أنه يرفع بعدله الطائع، ويخفض العاصي بتقتير

---

(١) ق: ٣٨.

(٢) تفسير الطبري ٢٦/ ١٧٩.

(٣) البقرة: ٢٥٥.

(٤) انظر: شرح النووي ٣/ ١٣، و والديباج ١/ ٢٢٥ .

الرزق والخذلان بمعصيته»[١].

وثالث هذه الخصال: قوله ﷺ: «يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ» وفي رواية لمسلم «وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ»[٢] أي إن عمل الليل يرفع إليه - سبحانه - مع بداية النهار وقبل عمل النهار لا يتأخر ذلك ولا يتبدل، وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»[٣] فيرفع إليه عمل الليل - سبحانه - قبل عمل النهار الذي بعده وعمل النهار قبل عمل الليل الذي بعده فإن الملائكة الحفظة يصعدون بأعمال الليل بعد انقضائه في أول النهار ويصعدون بأعمال النهار بعد انقضائه في أول الليل[٤].

ورابع هذه الخصال: قوله ﷺ: «وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ» وفي رواية لمسلم أيضاً: «وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ وَعَمَلُ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ»[٥] فخص عمل النهار بالرفع في الليل قبل انتهاء عمل الليل فلا تأخير ولا توان بل كل شيء محصىً لا يضل ربي ولا ينسى؛ فإن الحفظة المكلفين يصعدون بأعمال الليل بعد انقضائه في أول النهار ويصعدون بأعمال النهار بعد انقضائه في أول الليل[٦].

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٢٦٥، وانظر: مرقاة المفاتيح ١/ ٢٦٤.

(٢)رواه مسلم ١٧٩.

(٣)رواه البخاري ٥٥٥.

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم ٣/ ١٣، والديباج ١/ ٢٢٥

(٥)رواه مسلم ١٧٩.

(٦) الديباج ١/ ٢٢٥.

وخامس هذه الخصال: قوله ﷺ «حِجَابُهُ النُّورُ» وفي رواية أخرى «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»[1] وأفرد الإمام مسلم في صحيحه باباً باسم «بَابٌ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَام إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَفِي قَوْلِهِ حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»[2] (والمراد أن حجابه خلافُ الحُجُبِ المعهودةِ فهو مُحتجب عن الخلق بأنوار عزه وجلاله وأشعة عظمته وكبريائه وذلك هو الحجاب الذي تدهش دونه العقول وتبهت الأبصار وتتحير البصائر، فلو كشفه فتجلى لما وراءه بحقائق الصفات وعظمة الذات لم يبق مخلوق إلا احترق ولا منظور إلا اضمحل[3].

ومعنى سُبُحَاتِ وَجْهِهِ أي نوره وجلاله وبهاؤه، وأما الحجاب فأصله في اللغة المنع والستر وحقيقة الحجاب إنما تكون للأجسام المحدودة والله ـ تعالى ـ منزه عن ذلك. قال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ: (الله نور السموات والأرض الحسي والمعنوي وذلك أنه ـ تعالى ـ بذاته نور وحجابه نور الذي لو كشفه لأحرقت سُبُحَاتُ وجهِه ما انتهى إليه بصرُه من خلقه وبه استنار العرش والكرسي والشمس والقمر والنور وبه استنارت الجنة، وكذلك المعنوي يرجع إلى الله فكتابه نور وشرعه نور والمعرفة والإيمان في قلوب رسله وغيرهم من المؤمنين نور، فلو لا نوره ـ تعالى ـ لتراكمت الظلمات، ولهذا كل محل يفقد نوره فَثَمَّ الظلمةُ والحَصْرُ)[4]. فهذه خمس خصال له ـ سبحانه وتعالى ـ واجبة

(١) حديث صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني (١٨٦٠) وصحيح سنن ابن ماجه للألباني (١٩٥) وظلال الجنة (٦١٤).

(٢) صحيح مسلم، «بَاب فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَام إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَفِي قَوْلِهِ حِجَابُهُ النُّورُ...»

(٣) انظر: فتح الباري ١٣/ ٤٣١، وشرح مسلم للنووي ٣/ ١٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٥١٧.

الإيمان والاعتقاد ـ فهو سبحانه وتعالى ـ مُتَّصِفٌ بكل كمال مُنَزَّهٌ عن كُلِّ نقصٍ وعيبٍ... وهو السميع البصير.

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ ينبغي على العبد المسلم أن يكون على مذهب أهل السنة والجماعة الذين عرفوا ربهم بما تعرَّف به إليهم من صفات كماله اللائقة بجلاله؛ فأثبتوا له تعالى ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ إثباتاً بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل وعرفوه بأفعاله وعجائب مخلوقاته، وبما أظهر لهم من عظيم قدرته، وبما أسبغه عليهم من عظيم نعمته؛ فعبدوا رباً أحداً صمداً إلهاً واحداً لا شريك له في ملكه؛ تعالى وتقدس عن كل عيب ونقص.

٢ ـ وجوب دوام مراقبة الله تعالى، واليقين الكامل بأن الله ـ عز وجل ـ، ويحصي على عبده كل شيء ويُحيط علمهُ بكل شيء؛ فعلى المسلم التَّقَيُّدُ المطلق بشرائع الإيمان.

٣ ـ إثبات صفة النور والفعل لله ـ عز وجل ـ، وأنه نور السموات والأرض وما فيهما ومنوِّرهما وما فيهما.

٢٣
الحديث الثالث والعشرون
التحذير من مخالفة أمر الله ـ تعالى ـ

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «خَمْسٌ بِخَمْسٍ: مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ إِلاَّ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلاَّ فَشَا فِيْهِمْ الفَقْرُ، وَلاَ ظَهَرَتْ فِيْهِمْ الفَاحِشَةُ إِلاَّ فَشَا فِيْهِمْ المَوْتُ، وَلاَ طَفَّفُوا المِكْيَالَ إِلاَّ مُنِعُوا النَّبَاتَ، وَأُخِذُوا بِالسِّنِيْنَ، وَلاَ مَنَعُوا الزَّكَاةَ إِلاَّ حُبِسَ عَنْهُمْ القَطْرُ»[1].

لغة الحديث:

فشا: انْتَشَر[2].

الفاحشة: هي التي توجب الحد في الدنيا والعذاب في الآخرة[3].

التطفيف: البخس في الكيل والوزن[4].

أخذوا بالسنين: أي بالجدبِ والقحطِ[5].

معنى الحديث:

نعم الله ـ سبحانه ـ عظيمة، وآلاؤه وفيرة؛ لا تعد ولا تحصى قال ـ تعالى ـ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ

---

(١) حديث حسن، انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني ٣٢٤٠، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني ٧٦٢.

(٢) تاج العروس ٣٩/ ٢٣٦.

(٣) التعريفات ١/ ٢١١.

(٤) الكليات ١/ ٨٨٤.

(٥) تاج العروس ٣٨/ ٣٢١.

لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[١]، وقد سخرها للإنسان؛ فإن اتقى ربه، وأصلح، وشكر أنعم الله عليه بالبركة، وإن أفسد وضل سلط الله عليه جنوده ردعاً وزجراً؛ فإن عاد وتاب وأناب رفع الله عنه وإن استمر نال عقاب الآخرة ووعيده.

وفي هذا الحديث يفصل لنا النبي ﷺ جملة من الأعمال التي ينال من يفعلها عقاباً دنيوياً حالاً لقاء ما ارتكب مما نهاه الله عنه؛ إذ الجزاءِ من جنس العمل ولا يظلم ربك أحداً! وهذا هو المراد بقوله ﷺ «**خمس بخمس**».

وأول هذه الأفعال نقض العهد: «**ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم**» أي «ما عاهدوا الله عليه، أو ما عاهدوا عليه قوما آخرين فَبِنَقْضِهِمْ العهدَ يسلّط عليهم عدوّهم قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولاً﴾[٢] ونقض العهد من علامات النفاق فإن كان في قوم، واشتهروا به، نالوا العقاب؛ بتسلط عدوهم عليهم جزاء بما اجترحوه من نقض العهد المأمور بالوفاء به[٣].

وثاني هذه الآثام: الحكم بغير ما أنزل الله «**وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر**» أي إذا حكَّموا فيهم غير شرع الله من القرآن والسنة عن عمد أو جهل ظهر فيهم الفقر وكثر[٤] عقاباً وجزاء؛ لأن من يفعل ذلك ليس بمؤمن.

وثالث هذه المنكرات: يذكرها ﷺ بقوله «**ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت**» وفي حديث آخر «وَلَا فَشَا الزِّنَى فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا كَثُرَ فِيهِمْ

---

(١) إبراهيم : ٣٤ .

(٢) الإسراء: ٣٤ .

(٣)فيض القدير ٣/ ٤٥٢ .

(٤) انظر: فيض القدير ٣/ ٤٥٢ ، التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٥١٩.

الْمَوْتُ»(١) فإذا انتشر الزنى وأمثاله وظهر وصار شائعاً في قوم مباحاً بينهم ولم ينكروا على فاعله فشا فيهم الموت»(٢) بسبب كثرة الأمراض والأسقام والأوجاع التي لم تكن في غيرهم كما كان في بني إسرائيل، قال ﷺ :«الطَّاعُونُ رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»(٣) فإن كانوا كذلك فذلك جزاؤهم في الدنيا ولهم في الآخرة سوء العذاب لتجرُّئِهم على محارم الله .

ورابع هذه الآثام: تطفيف المكيال قال: «ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين».

وفي رواية أخرى «وَلَا نَقَصَ قَوْمٌ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا قُطِعَ عَنْهُمْ الرِّزْقُ»(٤) أي «ما أنقصوا في الكيل والوزن إلا استحقوا العذاب بمنعهم المطر، فلا تنبت الأرض فيصابوا بالمجاعة والقحط والجدب، بل لهم الويل قال ـ تعالى ـ:﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾(٥)» ولهم في الآخرة عذاب هو أشد وأبقى!!.

وخامس هذه الأفعال: منع الزكاة قال ﷺ: **«ولا مَنَعُوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر»** أي «منعوا الركن الثالث من أركان الإسلام وهو أداء الزكاة وإعطاؤها إلى مستحقيها إلا حُبِس عنهم المطر عقاباً، وإذا اسْتَسْقوا لا يستجابُ

---

(١)الموطأ ٩٩٨.

(٢) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٨ / ٤٠٩.

(٣)الموطأ ٩٩٨.

(٤) رواه مسلم٢٢١٨.

(٥) المطففين: ١.

لهم ويُعاقبون في الدنيا كذلك بمقاتلتهم، والأخذ على أيديهم، كما فعل الخليفة أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ من قتال مانعي الزكاة»[١] **قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ**: «كل طائفة خرجت عن شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة مثل إن تركوا الصلاة أو منعوا الزكاة أو أعلنوا بالبدع المناقضة للإسلام في العقائد أو العبادات أو تحاكموا إلى الطاغوت ونحو ذلك فالواجب على المسلمين قتالهم باتفاق أئمة المسلمين وإن تكلموا بالشهادتين فيجب قتالهم على نحو ما فعل أبو بكر والصحابة بأهل الردة وبالخوارج حتى يكونَ الدينُ كلُّه لله»[٢].

فهذه الخمس ما انتشرت هي أو إحداها في قوم واشْتُهِروا بها إلا كانت عليهم شؤماً، وحل بهم غضب الله وعقابه في الدنيا والآخرة، نسأل الله العفو والعافية.

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ قبح المعاصي وشؤم عاقبتها.

٢ ـ وجوب الطاعة الاتباع والتحذير من المخالفة والعصيان والابتداع.

٣ ـ وجوب العمل بشرائع الإسلام الظاهرة؛ لأنها سبب سعادة المسلمين في دينهم ودنياهم.

٤ ـ من أنكر معلوماً من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة؛ فهو كافر مرتد يجب قتاله بالاتفاق.

---

(١) فيض القدير ٣/ ٤٥٢، وانظر: التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٥١٩.

(٢) مختصر الفتاوى المصرية ١/ ٥٠٦.

٢٤ الحديث الرابع والعشرون

وجوب اغتنام الفرص

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قَالَ رسولُ الله ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سُقْمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»[(١)].

لغة الحديث:

هَرَمِكَ: الهَرَمُ علو السن وأصله من الهرم، وهو نبت ضعيف، والكِبَرُ يُضعف البدن[(٢)].

السَّقْمُ: السقم تأثير المرض في البدن، وقال الراغب ويختص بالبدن، والمرض قد يكون في البدن وفي النفس[(٣)].

الشَّغْلُ: الشغل ضد الفراغ، والعارض يذهل الإنسان، ونحوه، ويقال (هو في شغل شاغل) للمبالغة، ويطلق على العمل؛ فيقال شغل شاق وعلى ما يعمل فيقال شغل جيد[(٤)].

معنى الحديث:

إِنَّ عُمُرَ الإنسان يُعَد ثروةً رائعةً وكَنزاً ثميناً، وهو أَنفسُ ما يملكه الإنسان، وكل مفقود عسى أن يُسترجع إلا العمر؛ فهو إن ضاع لم يتعلق بعودته

---

(١)حديث صحيح: انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني ١٠٧٧، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني ٣٣٥٥ .

(٢)التعاريف ١/ ٧٤١ .

(٣)التعاريف ١/ ٤٠٩ .

(٤)المعجم الوسيط ١/ ٤٨٦ .

أمل؛ فإذا كان عمرك هو رأس مالك؛ فيجب عليك أن تعرف قيمته وتقدر خطورته، وأن تستشعر أنك مسؤول عنه يوم القيامة فإن من دلائل الإيمان وأمارات التقى أن تَعِيَ هذه الحقيقة وأن تسير على هداها؛ فتغتنم خمساً قبل خمس والنبي ﷺ الهادي البشير النذير قد بين في هذا الحديث أشياء قد تغيب على كثير من الناس كما جاء في قوله ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»[1]، وفي هذا الحديث يدلنا ﷺ على اغتنام فضائلِ أعمالٍ خمسةٍ في وقتها قبل أن تضيع فرصة الأخذ بالمقدار الأكبر منها؛ وكل ذلك سعياً إلى الجنة وفراراً من النار؛ فيقول ﷺ «اغتنم خمساً قبل خمس» أي اغتنم بالفعل أشياء خمسة ذكرت في هذا الحديث لا حصراً في أوقات يمكن الاستفادة منها قبل حدوث عوارض أخرى قد تمنعك من أخذها؛ فافعل خمسة أشياء قبل حصول خمسة أشياء[2].

وللأسف؛ فإن واقع حالنا اليوم أننا نجد كثيراً من الناس يلهيهم ويضلهم طول الأمل والتسويف عن اغتنام هذه النعمة وهي "الشباب" بل قد يصل الحال أن يقول البعض منهم نحن صغار عن الاجتهاد في العبادة ظلماً وجهلاً وإعراضاً بسبب الأمل الذي يلازمهم لا يفارقهم حتى مع تقدمهم في العمر يقول ﷺ: « لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الْأَمَلِ »[3] .

وكما قال ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»[4] فكثير من الناس لا يشعرون بنعمة الصحة إلا إذا فقدوها فيندمون، ولات ساعة

---

(١)رواه البخاري ٦٤١٢.

(٢) انظر: فيض القدير ٢/ ١٦، والتيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ١٧٧، ومرقاة المفاتيح ٩/ ٣٧٠ .

(٣)رواه البخاري ٦٤٢٠.

(٤)رواه البخاري ٦٤١٢ .

مندم!! نسأل الله العافية!!.

قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ: «ولما كانت الدنيا حقيرة عند الله لا تساوي لديه جناح بعوضة، كانت وما فيها في غاية البعد منه، وهذا هو حقيقة اللعنة وهو ـ سبحانه ـ إنما خلقها مزرعة للآخرة ومعبراً إليها يتزود منها عباده إليه؛ فلم يكن يقرب منها إلا ما كان متضمناً»[1] جاء من الحكمة قول عِيسَى ـ عليه السلام ـ يعظ ويوقظ قوله: «تَعْمَلُونَ لِلدُّنْيَا وَأَنْتُمْ تُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ عَمَلٍ وَلَا تَعْمَلُونَ لِلْآخِرَةِ وَأَنْتُمْ لَا تُرْزَقُونَ فِيهَا إِلَّا بِالْعَمَلِ»[2].

فعلى المرء اغتنام هذه الفضائل الخمس قبل زوالها وضياعها، فلا شيء يبقى، ولا شيء يستقر وكل شيء في دنياك محفوف بالمخاوف؛ فإن لم يكن أجل فمرض، وإن لم يكن فقر فهرم، ولا أحد من الجميع يسلم!! فالعاقل اللبيب يعمل بهدي نبينا محمد ﷺ ويتَّبعه وليس للمعرض إلا الحسرة والندامة! نسأل الله العافية.

ما يرشد إليه الحديث:

١ـ وجوب إخلاص العمل لله وانتهاز الفرص، فإن التأني في كل شيء محبوب إلا في أعمال البر والسعي للآخرة... فالمبادرة المبادرة فإنما هي الأنفاس لو صبت انقطعت عنا الأعمال.. اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل.

٢ـ ينبغي للمعلم أن يفعل الأسباب التي يكون فيها انتباه المخاطب ويقظته.."اغتنم".

٣ـ فصاحة النبي ﷺ وبلاغته حيث ذكر خمساً في مقابلة خمس وبضدها تتمايز الأشياء.

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٦٩ .

(٢) سنن الدارمي ٣٦٨، وانظر: روضة المحبين ١/ ٤٠٠ .

٢٥ الحديث الخامس والعشرون

فضل الدعاء

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ ـ رضي الله عنه ـ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ كَانَ يَأْمُرُ بِهَؤُلَاءِ الْخَمْسِ وَيُحَدِّثُهُنَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»[١].

لغة الحديث:

الْبُخْلِ: إمساك المقتنيات عما لا يحل حبسها عنه، وضده الجود، والبخيل من يكثر منه البخل، والبخل ضربان: بخل بمقتنيات نفسه، وبخل بمقتنيات غيره، وهو أكثرهما ذماً والبخل شرعاً: منع الواجب[٢].

الْجُبْنُ: هي هيئة حاصلة للقوة الغضبية بها يحجم عن مباشرة ما ينبغي وما لا ينبغي[٣].

أَرْذَل الْعُمُرِ: آخره في حال الكبر، والعجز والخرف، والأرذل من كل شيء الرديء منه[٤].

معنى الحديث:

الدعاء لب العبادة وسرها؛ فهو دليل جامع لعظمة الخالق، ورحمته وقدرته وافتقار الخلق واحتياجهم إليه وهو من أعظم العبادات وأفضلها، وقد

---

(١) رواه البخاري ٣٦٧٠، وانظر: صحيح سنن النسائي للألباني ٥٤٤٥، والمسند للإمام أحمد ١٥٨٩.

(٢)التعاريف ١/ ١١٧

(٣)التعريفات ١/ ١٠١.

(٤) النهاية في غريب الأثر ٢/ ٢١٧

كان النبي ﷺ يعلم الصحابة ـ رضوان الله عنهم ـ الدعاء ويحثهم عليه فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ «كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمْ السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ»(١) والدعاء يكون بجلب نفع أو بدفع ضَرٍّ فيكون في الجلب بطلب العطاء والمنة منه تعالى(٢)، والاستعاذة بالله من الشرور ملاذ كل عاقل ولبيب، فإنه لا ملجأ ولا منجى من كل ما يضر إلا إلى الله، وقد صح عنه ﷺ في استعاذته ﷺ من الفتن ومن عذاب جهنم وعذاب القبر، وإن كان قضاء فلا يرده إلا الدعاء، يقول ﷺ: «لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ»(٣)، وفي هذا الحديث علم النبي ﷺ أصحابه الدعاء فعلمهم أن يستعيذوا بالله من خمسة أشياء، والأشياء والخمسة هي:

الأول: البخل: قال ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْبُخْلِ» أي في حقوق المال واستعاذﷺ من البخل لأنه يكون بمنع ما يجب إخراجه من المال شرعاً أو عادة ولا وجه له، «ولأن البخل كذلك بما ليس بواجب من غرائز النقص المضادة للكمال فالتعوذ منها حسن بلا شك وهو أولى»(٤). وفي حديث آخر يقول ﷺ: «اتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ

---

(١) رواه مسلم (٥٩٠).

(٢) حديث صحيح، انظر: صحيح سنن ابن ماجه للألباني ٣٨٤٦، وصحيح الجامع الصغير للألباني ١٢٧٦، والمسند للإمام أحمد ٢٤٤٩٨، والسلسلة الصحيحة ١٥٤٢.

(٣) حديث حسن، انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني ٢١٣٩، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٧٦٨٧، والسلسلة الصحيحة ١٥٤.

(٤) عمدة القاري ١٩/١٨.

وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»[١] فالشح مذموم كذلك نقيضه التبذير فهما مذمومان شرعاً، وإنما الوسط بينهما، وهو السخاء هو شيمة، وطبع المؤمنين كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً ﴾[٢].

الثاني الجبن: قال ﷺ: «**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ**»فالجبن ضد الشجاعة «وهو الخذلان والتراجع والتقصير في أداء الحقوق والإدبار وفي الجهاد يكون بالإدبار، والتراجع وهو ليس من شيم المسلم؛ لأنه يُعَدُّ تقصيراً عن أداء الواجبات والقيام بحقوق الله تعالى وإزالة المنكر والإغلاظ على العصاة، ولأنه بشجاعة النفس، وقوتها المعتدلة تتم العبادات، ويقوم بنصر المظلوم والجهاد»[٣].

الثالث الهرم: قال ﷺ: «**وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ**»أي الهَرَمُ حيث ينتكس، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾[٤] (فالاستعاذة من الرد إلى أرذل العمر بأن يعود كبداية خلقه طفلاً في الاحتياج والعجز عن قضاء الاحتياجات؛ فهو يعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم واختلال العقل والحواس والضبط والفهم والعجز عن كثير من الطاعات والتساهل في بعضها، وأردؤه هو حالةُ الهَرَمِ والضعف عن أداء الفرائض وعن خدمة نفسه؛ فيما يتنظف فيه فيكون كلّاً على أهله ثقيلاً بينهم يتمنون موته؛ فإن لم يكن له أهل فالمصيبة أعظم)[٥] ولهذ كان

---

(١) رواه مسلم ٢٥٧٨.

(٢) الإسراء: ٢٩.

(٣) شرح النووي على مسلم ١٧/ ٣٠ .

(٤) يس: ٦٨.

(٥)عمدة القاري١٤/ ١١٩ ، وانظر: الديباج على مسلم ٦/ ٦٢ .

تعوذه ﷺ من ذلك وتعليمه أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ بأن يتعوذوا من إدراك هذه الأمور.

الرابع: فتنة الدنيا: قال ﷺ: «**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا**» (والتي يخسر بها الآخرة بأن يبيع الآخرة بما يتعجله في الدنيا من حال ومآل وسواء أكان فتنة النساء أو المال أو الدجال وهو أعظمها)[1] قال ﷺ: « إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ مُنْذُ ذَرَأَ اللهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ وَإِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ وَأَنَا آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لَا مَحَالَةَ ......»[2] فكل ما يفتن المرء به فيبيع من أجله الآخرة من أجل الدنيا هو فتنة الدنيا وعليه أن يتعوذ منها لأنها لا محالةَ صائرةٌ إلى فناءٍ يَخْرُبُ عُمرانُها ويموتُ سُكانُها وتذهبُ بَهجتُها وتَبيدُ خَضرَتُها؛ فالعاقل ينزلها منزلتها ولا يغترُّ بطول الأمل فيها؛ فإن طولَ الآمال قد قطعت أعناق الرجال كالسَّراب أخلفَ من رَجَاهُ وخابَ من رَآهُ حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً!

الخامس: عذاب القبر: قال ﷺ: «**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» فإن عذاب القبر حق ثابت بالكتاب والسنة[3] والتعوذ منه لأنه أول مدارك الآخرة، فالقبر إما بشارة بالجنة أو إنذار بالعذاب، والنار هي دار البوار، وفي هذا دليل على استحباب الدعاء والاستعاذة من كل ما ذكر من الخمس، وما كان في معناها، وهذا هو الصحيح الذي أجمع عليه العلماء وأهل الفتاوى في الأمصار[4] والله أعلم.

---

(١)عمدة القاري ١٤/ ١١٩ .

(٢)حديث صحيح ، انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني ٤٠٧٧ .

(٣)شرح النووي على مسلم ٦/ ٢٠٦ .

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم ١٧/ ٣٠ ، وفتح الباري ١٣/ ٤٤ .

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ حرص الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على تعلم أمور دينهم وما ينفعهم.

٢ ـ أمانة تعلم العلم النافع وتعليمه للناس وعدم كتمه، واستحباب الدعاء وأنه مأمور به.

٣ ـ الكرم والشجاعة وانتهاز الفرص وعدم الاغترار بمتع الدنيا والإيمان بعذاب القبر ونعيمه فضائل ينبغي للمؤمن أن يحرص عليها ويتعوذ بالله من ضدها.

٤ ـ الإيمان بعذاب القبر ونعيمه جزء من عقيدة المسلم.

٢٦ الحديث السادس والعشرون

الترغيب في فعل الخير والاتصاف به

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يا أَبا هُرَيْرَةَ: «كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحْسِنْ جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَقِلَّ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ»[1].

لغة الحديث:

الوَرَعُ: تجنب الشبهات خوف الوقوع في محرم، وقيل هو ملازمة الأعمال الجميلة[2]

القَنَاعَةُ : لغةً الرضا بالقسمة، و عرفاً الاقتصار على الكفاف، ويقال الاجتزاء باليسير من الأعراض المحتاج إليها[3].

الشُّكْرُ: الوصف بالجميل على جهة التعظيم على النعمة من اللسان والجنان والأركان، وقيل هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه؛ فالعبد يشكر الله، أي يثني عليه بذكر إحسانه الذي هو نعمة[4].

---

(١) حديث صحيح ، انظر: صحيح سنن ابن ماجه للألباني ٤٢١٧، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٤٥٨٠، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني ١٧٤١.

(٢) انظر: التعاريف ص ٧٢٤ ، والتعريفات ٣٢٥.

(٣) انظر: التعاريف ص ٥٩٠ ، والتعريفات ٢٢٩.

(٤) انظر: التعاريف ص ٤٣٥، والتعريفات ١٦٨.

معنى الحديث:

الهدى والتقى مبتغى من أراد الاقتداء بالهادي البشير النذير محمد ﷺ، فهداه هو الطريق المستقيم، وبه يكون النجاة يوم الدين، وفي هذا الحديث ذكر ﷺ خمس خصال من يعمل بهن ينال سعادة الدنيا، والآخرة وفي رواية أخرى للحديث يقول ﷺ «مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ أَنَا يَا رَسُولَ اللهَّ فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا»(١) فذكر النبي ﷺ هذه **الخصال وهو الورع**: والورع هو اجتناب الشبهات خوفاً من الوقوع في المحرم وفي رواية أخرى «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ»(٢) والمعنى المداومة على مراقبة الله عزوجل في جميع الحالات والاشتغال بأفضل العبادات في الظاهر والباطن بإيثار حقك على حظك وهذا من كمال العبودية لله، ولهذا قال الحسن ـ رحمه الله ـ مِلاك الدين الورع، وقد رجع ابن المبارك من خراسان إلى الشام في رد قلم استعاره منها(٣) نسأل الله العافية!

والخصلة الثانية هي: فإن العبد إذا رضي بما رزقه الله كان مطمئن القلب هادئ النفس، فيشكر ربه على نعمه شكر قانع غير طامع، فيزيده ربه فيزداد سروراً وفرحاً وشكراً قال ـ تعالى ـ: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾(٤) ومن ذلك أنه يبارك له فيما أعطاه، يقول ﷺ: «أَنَّ اللهَّ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ يَبْتَلِي عَبْدَهُ بِمَا أَعْطَاهُ

---

(١)حديث صحيح ، انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني ٢٣٠٥، والمسند للإمام أحمد ٨٠٣٤.

(٢)حديث صحيح ، انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني ٢٣٠٥، والمسند للإمام أحمد ٨٠٣٤.

(٣)فيض القدير ٥/ ٥٢ .

(٤) إبراهيم : ٧ .

فَمَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لَهُ بَارَكَ اللهُ لَهُ فِيهِ وَوَسَّعَهُ وَمَنْ لَمْ يَرْضَ لَمْ يُبَارِكْ لَهُ»(١).

وثالث هذه الخصال أن يحب المرء للناس ما يحبه لنفسه «فإن فعل ذلك فقد كمل إيمانه؛ فإن انتفت المحبة لنحو حقد أو غل أو حسد انتفى عنه كمال الإيمان»(٢)، قال ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(٣) فجعله ﷺ من شروط الإيمان أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه.

ورابع هذه الخصال أن يحسن جوار من جاوره وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «لَا وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ لَا وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ لَا وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ! قَالُوا: وَمَنْ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ جَارٌ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ قِيلَ: وَمَا بَوَائِقُهُ؟ قَالَ شَرُّهُ»(٤) فالمسلم من أمنه أخاه المسلم وشعر في جواره بالمحبة والسكينة والطمأنينة واستأمنه على ماله وعرضه.

وخامس هذه الخصال أن يقلل من الضحك «فإن كثرة الضحك تصيِّر القلب مغموراً في الظلمات بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بنافعة ولا يدفع عنها مكروهاً وأبعد القلوب من الله القلب القاسي، وحياة القلب وإشراقه مادة كل خير وموت القلب وظلمته مادة كل شر، وبحياته تكون قوته وسمعه وبصره وتصور المعلومات، وحقائقها على ما هي عليه، فإن كثرة الضحك المورثة للغفلة عن الاستعداد للموت وما بعده تجعل القلب ميتاً إن كان حياً، ويزيد اسوداداً إن

---

(١) حديث صحيح، انظر: المسند للإمام أحمد ١٩٧٦٨، السلسلة الصحيحة ١٦٥٨.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي ٦/ ٤٨٧، وفيض القدير ١/ ١٢٤.

(٣) رواه البخاري (١٣).

(٤) حديث صحيح، انظر: المسند للإمام أحمد ٨٢٢٧، ومشكاة المصابيح ٤٩٦٢، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٧١٠٢، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني ٢٥٥١.

كان ميتاً»[١] ولنا في رسول الله ﷺ وأصحابه المهديين الأسوة الحسنة، فقد كانوا لا يكثرون من الضَّحِك؛ فعَنْ سِمَاكٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ـ رضي الله عنه ـ أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ قَالَ نَعَمْ: «فكَانَ طَوِيلَ الصَّمْتِ قَلِيلَ الضَّحِكِ وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَذْكُرُونَ عِنْدَهُ الشِّعْرَ وَأَشْيَاءَ مِنْ أُمُورِهِمْ فَيَضْحَكُونَ وَرُبَّمَا تَبَسَّمَ»[٢].

ما يرشد إليه الحديث:

١ـ من هذا العرض المجمل لهذه الفضائل الخمس التي وردت في الحديث نستبين متانة الأواصر التي تربط الدين بالخلق فالإيمان القوي يلد الخلق القوي وانهيار الأخلاق والفضائل والسجايا مرده إلى ضعف الإيمان.

٢ـ الإيمان يزيد بالطاعات والمأمورات وينقص بالمعاصي وفعل المنكرات.

٣ـ فضيلة الورع والقناعة وحب إيصال الخير إلى الغير وحسن الجوار وقلة الضحك والاشتغال بما هو مفيد ونافع للإنسان في دينه ودنياه.

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٢٧

(٢) حديث صحيح ، انظر: المسند للإمام أحمد ٢٠٢٨٦، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٤٨٢٢.

٢٧ الحديث السابع والعشرون

محرمات ومحاذير ينبغي اجتنابها

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللهُ عَنْه وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَلَيْسَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ»[١].

لغة الحديث:

المِلَّةُ: قال الراغب: هي اسمٌ لما شرعه الله لعباده على لسان أنبيائه ليتوصلوا به إلى جواره. والفرق بينها وبين الدِّين أن الملةَ لا تضاف إلى النبي الذي يستند إليه، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله ولا إلى آحاد الأمة ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها[٢])

القَذْفُ: الرمي البعيد، واستعير القذف للشتم والعيب، كما استعير للرمي[٣].

اللَعْنُ: هو من الله إبعاد العبد بِسَخَطِه ومن الإنسان الدعاء بِسَخَطِه. وقال الراغب: «اللعن طرد وإبعاد على سبيل السخط، وهو لله ـ تعالى ـ في الدنيا انقطاع عن قبول فيضه، وتوقيعه في الآخرة عقوبة، ومن الإنسان دعاء على غيره[٤]».

---

(١)رواه البخاري ٦٠٤٧ ومسلم ١١٠ .

(٢)التعاريف ١/ ٦٧٤ .

(٣)التعاريف ١/ ٥٧٧ .

(٤)التعاريف ١/ ٦٢١ .

معنى الحديث :

التعظيم والإجلال لله ـ سبحانه وتعالى ـ وحده، ولا ينبغي لأحد سواه، فمن حلف فليحلف بالله، ومن نذر فلينذر لله وحده وليتقه وحده؛ لأننا مخلوقون لعبادته والعمل بشرعه، فمن أطاع فقد فاز ومن تعدى فقد حَقَّ عليه العقاب، وفي هذا الحديث خمس من الخصال التي بين لنا المصطفى ﷺ فيها محاذير ومحرمات يجب الحذر منها:

وأول هذه المحرمات المنهي عنها في قوله ﷺ «مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ» (أي من حلف بيمين ملة غير الإسلام: كاليهودية أو النصرانية فإنه يختل إسلامه بهذا الحلف ويصير كما قال [١]) فلا يحلف إن كان حالفاً بغير الله سواء أكان على ملة غير الإسلام أو على ملة الإسلام ولكن بغير الله. وفي الحديث عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ ـ رضي الله عنه ـ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ لَا وَالْكَعْبَةِ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ لَا يُحْلَفُ بِغَيْرِ اللَّهِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» [٢] فمن حلف فلْيَحْلِف بالله وحده يقول ﷺ «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ» [٣] **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:** «فليس لأحد أن يحلف لا بِمَلَكٍ ولا نبي ولا

---

(١) مرقاة المفاتيح ٦/ ٥٢٨.

(٢) حديث صحيح ، انظر: صحيح سنن أبي داود للألباني ٣٢٥١، وصحيح سنن الترمذي للألباني ١٥٣٥، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٦٢٠٤، وغاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ٢٥٩، والسلسة الصحيحة ٢٠٤٢، وإرواء الغليل ٢٥٦١ .

(٣) رواه البخاري ٢٦٧٩ .

غير ذلك من المخلوقات ولا يحلف إلا باسم من أسماء الله أو صفة من صفاته[١]»، فغير ذلك جرم وذنب يصير به على ما حلف به؛ لأنه لم يقنع بالحلف بالله استهزاءً أو تنقصاً أو جهلاً مُصرًّا عليه فعلى المسلم ألا يحلف إلا بالله ـ تعالى ـ صادقاً في حلفه، ومن حُلِفَ له بالله فليرض من لم يرض؛ فليس من الله في شيء!!

وثاني هذه الأعمال المنهي عنها في قوله ﷺ: «وَلَيْسَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ» أي لا يصح النذر ولا ينعقد في شيء لا يملكه حين النذر حتى لو ملكه بعده لم يلزمه الوفاء به ولا الكفارة عليه كأن يَنْذُرَ بأن يضحي بشاة غيره[٢].

وثالث هذه الأعمال المنهي عنها في قوله ﷺ: «وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (فمن قتل نفسه بشيء من آلات القتل أو بتناول السم أو غير ذلك فقد جنى على نفسه، وجناية الإنسان على نفسه كجنايته على غيره في الإثم؛ لأن نفسه ليست ملكاً له مطلقاً بل هي لله ـ تعالى ـ فلا يتصرف فيها إلا بما أذن له فيه؛ لأنه استحل قتل نفسه [٣] فإنه حينئذ يعذب يوم القيامة بما قتل نفسه به، وفي رواية أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»[٤] فالبدن ملك له ـ سبحانه ـ فمن جنى عليه عوقب يوم القيامة من جنس ما

---

(١) مختصر الفتاوى المصرية ١/ ٥٤٨.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي ٥/ ١٠٤، وعون المعبود ٩/ ٦١، .

(٣) انظر: فتح الباري ٦/ ٩١، ١١/ ٥٣٩، .

(٤) رواه البخاري ٥٧٧٨، ومسلم ١٠٩ .

اعتدى به على نفسه، قال الله ـ تعالى ـ:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾[1].

وقد عدها الذهبي في كتابه "الكبائر"«الكبيرة الخامسة والعشرون» قال: قاتل نفسه .. من أعظم الكبائر[2]».

ورابع هذه الأعمال المنهي عنها في قوله ﷺ: «وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ» أي في الإثم؛ لأن اللاعن يقطعه عن منافع الآخرة، قال **الطِّيبي** ـ رحمه الله ـ: (أي في التحريم أو في العقاب فلعنه كقتله[3]) فالمحبة والمودة هي أصل العلاقة بين المسلم وأخيه المسلم، أما اللعان فهو ليس من صفات المؤمنين، وقد صح عنه ﷺ أنه قال:«لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا»[4] .

وخامس هذه الأعمال المنهي عنها في قوله ﷺ: «وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ» في عظم الوزر وشدة الإصر عند الله، لكن لا يلزم تساوي قدر الوزرين، فمن قال لمؤمن يا كافر أو أنت كافر فهو كقتله في الإثم وشبهه بقتله إياه؛ لأن القاتل يقطع المقتول من منافع، الدنيا قال **الإمام الطبري**: (وأجمعوا أنه لا

---

(١) النساء: ٢٩ـ٣١.

(٢)كتاب الكبائر وتنبيه المحارم للذهبي ص٩٦.

(٣)عمدة القاري ٢٢/ ١٢٥ ، ومرقاة المفاتيح ٦/ ٥٢٩

(٤)رواه مسلم ٢٥٩٧ .

يقتل في رميه له بالكفر[١] فإذا نطق بذلك فقد أظهر كفراً بواحاً؛ لأن الرمي بالكفر من أعظم الأمور، ومما جاء في الوعيد تحذيراً من هذا الأمر ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا »[٢] فهذه جملة من الأعمال التي لا تكون في مؤمن ولا من طباع المؤمنين لأن من سمات المجتمع المسلم المودة والمحبة والتسامح، وهي من أصول الإيمان، روى البخاري في صحيحه بسنده قال ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[٣].

ما يرشد إليه الحديث:

١ـ إخلاص التوحيد لله يكون بالقلب واللسان، والأعمال تتفاضل فيما بينهما.

٢ـ تحريم أعراض الناس وحفظ اللسان عن الولوغ فيها وكف الأذى عن المؤمنين باليد واللسان.

٣ـ عظم تكريم الله للإنسان وفضل منزلته عنده ـ سبحانه ـ.

٤ـ من حكمة التشريع وأسرار سماحة الإسلام ويسر أحكامه أنه لا تكليف بما ليس في الطاقة والوسع وما يشق على الإنسان فعله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾[٤].

---

(١) عمدة القاري ٢٢/ ١٢٥، وانظر: مرقاة المفاتيح ٦/ ٥٢٩، وفيض القدير ٥/ ٣٧١.

(٢) رواه البخاري ٦١٠٣ .

(٣) رواه البخاري ١٠ .

(٤) النساء: ٢٨.

٢٨ الحديث الثامن والعشرون

من آداب المشي إلى الصلاة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا أُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا تَمْشُونَ، وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةَ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا»[١].

لغة الحديث:

من السَّعْيُ: والسعي: هنا: العَدْو، وهو الإسراع في الأمر[٢].

السَّكِيْنَةُ: ما يجده القلب من الطمأنينة عند تنزل الغيب، وهي نور في القلب يسكن إلى شاهده ويطمئن، وهو مبادئ عين اليقين[٣].

معنى الحديث:

الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام وهي لُبُّ الصلة بين العبد وربه ومناجاته له ـ سبحانه ـ، ووقارها وتعظيم شأنها من تقواه سبحانه قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[٤][٥]، والذهاب إلى الصلاة طاعة وعبادة يجب أن يحسن المرء تأديتها، وقد صح عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «صَلَاةُ الْجَمِيعِ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ؛ فَأَحْسَنَ، وَأَتَى الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا

---

(١) رواه البخاري ٦٠٤٧، ومسلم ٦٠٢.

(٢) لسان العرب المحيط ٢/ ١٥١.

(٣) التعريفات ١/ ١٥٩

(٤) الحج: ٣٢.

(٥) رواه البخاري ٦٠٤٧، ومسلم ٦٠٢.

رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةً حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ»(١) وفي هذا الحديث يبين لنا الرسول ﷺ آداب إتيان الصلاة. وأول هذه الآداب بقوله «إِذَا أُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ» أي لا تأتوا إلى الصلاة مسرعين في المشي وإن خفتم فوت الصلاة ، **قال الإمام الطيبي ـ رحمه الله ـ**: «لا يقال هذا مناف لقوله تعالى: ﴿فاسعوا﴾ لأنا نقول المراد بالسعي في الآية القصد وليس الإسراع، وعلى هذا يكون إتيان الصلاة دون إسراع لأن الخطوة مجازى عليها له بها الأجر ومكفرة عنه خطيئة» (٢).

وثاني هذه الآداب في قوله ﷺ: «**وَأْتُوهَا تَمْشُونَ**» أي اؤتوها مطمئنين؛ لأن الطمأنينة هي مدار الطاعة؛ إذ المقصود من العبادة الحضور مع المعبود، **قال الإمام ابن حجر**: «وهو أبلغ في النهي من لا تسعوا؛ لتصويره حالة سوء الأدب وأنه مناف لما هو أولى به من الوقار والسكينة، ومن ثم عقبه بما ينبه على حسن الأدب؛ فقال وأتوها حال كونكم تمشون لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾(٣) فالمأمور به هو إتيانها ماشين مطمئنين» (٤).

وثالث هذه الآداب في قوله ﷺ: «**وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ**» أي وعليكم الوقار في مشيكم الذي قد بدأتموه بعدم الإسراع والطمأنينة في المشي، **قال النووي ـ رحمه**

---

(١) رواه البخاري ٤٧٧.

(٢)مرقاة المفاتيح ٢/ ٣٥٥ ، وانظر: عون المعبود ٢/ ١٩٥ .

(٣) الفرقان: ٦٣.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح تأليف: علي بن سلطان محمد القاري ٢/ ٣٥٦ ، وانظر: عون المعبود ٢/ ١٩٥ .

الله ـ: «المراد التأني في الحركات واجتناب العبث»[١]، والحكمة من هذه الآداب هو عدم الإسراع ووجوب التأني في المشي مع السكينة والوقار.

ورابع هذه الآداب في قوله ﷺ: «**فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا**» أي إذا فعلتم الذي أمرتكم به من السكينة وترك الإسراع فما أدركتم من الصلاة فصلوا.

قال الإمام ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «واستدل الجمهور بهذا الحديث على حصول فضيلة الجماعة بإدراك جزء من الصلاة لقوله: فما أدركتم فصلوا ولم يفصل بين القليل والكثير، فإن فعل المرء ذلك يحصل له الثواب كاملاً، وبإطلاقه أخذ جماعة من العلماء أن الجماعة تدرك بأي جزء أدرك قبل سلام الإمام، ويحصل للمأموم فضل الجماعة، وهو السبع والعشرون درجة لكن من أدركها من أوّلها تكون درجته أكمل»[٢].

وخامس هذه الآداب: قوله ﷺ: «**وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**» أي أتموا ما فاتكم من صلاتكم فحصل فيه تنبيه وتأكيد لئلا يتوهم متوهم أن النهي إنما هو لمن لم يخف فوت بعض الصلاة فصرح بالنهي وإن فات من الصلاة ما فات».

قال الإمام الخطابي في المعالم: «قوله فأتموا دليل على أن الذي يدركه المرء من صلاة إمامه هو أول صلاته؛ لأن لفظ الإتمام واقع على باقي من شيء قد تقدم أوله[٣] فهذا مذهب كثير من أهل العلم»[٤]؛ فهذه آداب إتيان الصلاة في الجماعة

---

(١) تحفة الأحوذي ٢/ ٢٤٢، وانظر: عون المعبود ٢/ ١٩٧

(٢) مرقاة المفاتيح ٢/ ٣٥٧.

(٣) تنوير الحوالك ١/ ٦٧، وانظر: عون المعبود ٢/ ١٩٦.

(٤) ذهب إلى هذا الإمام الشافعي والإمام أحمد وقال الإمام الطيبي وهو مذهب الإمام علي كرم الله وجهه وأبي الدرداء رضي الله عنه وإليه ذهب الإمام أبو حنيفة إلا في القراءة وقال الإمام ابن =

علَّمها معلم البشرية وخاتم الأنبياء والمرسلين رغبة في حصول الثواب والأجر وإتيان العبادة على القدر والهيئة المطلوبة وعدم الإخلال بها .

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ السكينة والوقار وعدم الإسراع والطمأنينة آداب من آداب الإسلام العامة وخاصة عند الذهاب لتأدية الصلاة.

٢ ـ وجوب سعي المؤمن وحرصه على ما ينفعه ويرفع درجته ويزيد أجر عبادته.

٣ ـ الأداء يحكي القضاء في الصلاة وغيرها من العبادات التي يجب فيها ذلك، وهي مفصلة في مواضعها.

٤ ـ حرص النبي ﷺ على أمته وتعليمهم أمور دينهم وآداب شريعتهم.

=حجر وهو مذهب جمع من الصحابة والتابعين (مرقاة المفاتيح ٢/ ٣٥٧) .

٢٩ الحديث التاسع والعشرون

التحذير مما يوغر الصدور ويفسد المودة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَنَاجَشُوا، وَلَا يَبِعْ الْمَرْءُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلَا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلَا يَخْطُبْ الْمَرْءُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ وَلَا تَسْأَلْ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ الْأُخْرَى لِتَكْتَفِئَ مَا فِي إِنَائِهَا»[1].

لغة الحديث:

التَّنَاجُشْ: «هو أن يزيد الرجل في ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها ولكن ليسمعه غيره فيزيد بزيادته[2]»

لا يبيع حَاضِرٌ لِبَادٍ: «الحاضر المقيم في المدن والقرى، والبادي المقيم بالبادية والمنهي عنه أن يأتي البدوي البلدة ومعه قوت يبغي التسارع إلى بيعه رخيصاً فيقول له الحضري اتركه عندي لأغالي في بيعه[3]».

لِتَكْتَفِئَ مَا فِي إِنَائِهَا: كَفَأْتَ الإناء إذا كَبَبْتَه، يفعل ذلك ليفرغ ما فيها وقيل صورته أن يخطب الرجل المرأة وله امرأة؛ فتشترط عليه طلاق الأولى لتنفرد به، قال النووي ـ رحمه الله ـ: (المراد بأختها غيرها سواء أكانت أختها في النسب أم الإسلام أم كانت كافرة[4]).

معنى الحديث:

ليس الإسلام رابطة تجمع بين عدد قل أو كثر من الناس فحسب ولكنه

---

(١) رواه مسلم ١٤١٣.

(٢) لسان العرب ٦/ ٣٥١.

(٣) لسان العرب ٤/ ١٩٧.

(٤) انظر عمدة القاري بشرح صحيح البخاري للعيني ١١/ ٢٥٩.

جملة الحقائق التي تقر الأوضاع الصحيحة بين الناس وربهم ثم بين الناس أجمعين، وكل رابطة توطد هذا المفهوم وتزيح من طريقة العوائق فهي رابطة يجب تدعيمها والانتفاع بخصائصها. إن الأخوة في الله هي روح الإيمان الحي ولباب المشاعر الرقيقة التي يكنها المسلم لإخوانه فلا يسلمهم ولا يظلمهم ولا يفتئت عليهم في بيع أو شراء فمن حق أخيك عليك أن تكره مضرته وأن تبادر إلى دفعها عنه فإذا اجتهدت في تحقيق هذا النفع؛ فقد تقربت إلى الله بأزكى الطاعات وأجزلها مثوبة عنده سبحانه ولهذا نهى الإسلام عن كل ما من شأنه أن ينال من الترابط والتآلف بين المسلمين سواءٌ، أكان هذا الشيء يخص المعاملات التجارية أو الحياة الاجتماعية أو يشمل الآداب العامة والسلوك القويم للمسلم، ومن هذا ما خصه ﷺ بالذكر في هذا الحديث لما فيها من إحداث العداوات التي تدخل تحت التغرير والغش والتدليس والخداع.

وأولى هذه المنهيات في قوله ﷺ: «لَا تَنَاجَشُوا» وهو أن يمدح سلعة لينفقها ويروجها أو يزيد في الثمن ولا يريد شراءها ليوقع غيره في شرائها فيزيد في ثمن المبيع بلا رغبة ليخدع غيره فيوقعه ويغرر به[1] فَفِعْلُ ذلك من الغبن والخديعة، وهما لا يكونان في مؤمن أبداً... وفي هذا ما روي عنه ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[2] **قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ** : (ذِكْرُهُ بصيغة التفاعل **(لا تناجشوا)** لأن التاجر إذا فعل لصاحبه ذلك كان

---

(١) عمدة القاري ٢٢/ ١٣٧.

(٢) رواه البخاري ١٣ .

بصدد أن يفعل صاحبه له مثله [١]) فهذا العمل يُنْبِت الضغينة ويغذي الفرقة ويورث الشحناء والبغضاء وهذا لا يكون بين أفراد المجتمع المسلم .

وثانية هذه المنهيات في قوله ﷺ: «وَلَا يَبِعْ الْمَرْءُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ» وهو أن يتعدى على بيع أخيه أو شرائه دون مراعاة أن ذلك ضرر لأخيه **وصورة ذلك كما قال الإمام النووي:** هو (أن يقول لمن اشترى شيئاً في مدة الخيار: افسخ هذا البيع وأنا أبيعك مثله بأرخص من ثمنه أو أجود منه بثمنه ونحو ذلك، وهذا حرام؛ لأنه يحرم أيضا الشراء على شراء أخيه، وهو أن يقول للبائع في مدة الخيار: افسخ هذا البيع وأنا أشتريه منك بأكثر من هذا الثمن[٢])؛ فلا يجوز له فعل ذلك حتى يبتاع أو يذر، وقد صح تحريم ذلك عن النبي ﷺ بقوله: «لَا يَبِيعُ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ حَتَّى يَبْتَاعَ أَوْ يَذَرَ»[٣] فَفِعْلُ ذلك لا يكون إلا ممن ساء خلقه، والإسلام يمقت ذلك ويحرمه.

وثالثة هذه المنهيات في قوله ﷺ: «وَلَا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ» والمنهي عنه: أن يأتي البدوي البلدة، ومعه قوت يريد التسارع إلى بيعه رخيصاً فيقول له الحضري: اتركه عندي لأغالي في بيعه؛ فهذا الصنيع محرم؛ لما فيه من الإضرار بالغير[٤] فيكون بذلك سمساراً، وقد سئل ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عن قَوْله: «لَا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ» قَالَ: «لَا يَكُونُ لَهُ سِمْسَارًا»[٥]، فإن كان فعله بدون أجر أو في غير

---

(١) تحفة الأحوذي ٤/ ٤٤١ ، وانظر: حاشية السندي ٧٧/ ٢٥٦ ، شرح سنن ابن ماجه ١/ ١٥٧ .

(٢) شرح النووي على مسلم ١٠/ ١٥٨ .

(٣) حديث صحيح ، انظر: صحيح سنن النسائي للألباني ٤٥٠٤.

(٤) لسان العرب ٤/ ١٩٧.

(٥) رواه البخاري ٢١٥٨.

القوت الأساسي لأهل بلده أو كان القوت غير شحيح في البلدة جاز ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (وهذا نُهِيَ عنه لما فيه من ضرر المشترين) فإن المقيم إذا توكل للقادم في بيع سلعة يحتاج الناس إليها والقادم لا يعرف السِّعر ضَرَّ ذلك بالمشتري[١]).

ورابعة هذه المنهيات في قوله ﷺ: «وَلَا يَخْطُبُ الْمَرْءُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ» فهو أن يعلم المرء بخِطْبة أخيه، ثم يخطب على خطبته، فهذا محرم بنص الحديث، قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ : (وأجمعوا على تحريمها إذا كان قد صرح للخاطب بالإجابة ولم يأذن ولم يترك فلو خطب على خطبته وتزوج والحالة هذه عصى وصح النكاح ولم يفسخ هذا مذهبنا ومذهب الجمهور[٢]). فإذا أذن له الخاطب الأول أو يترك جاز ذلك، روي عنه ﷺ في حديث آخر قوله: «وَلَا يَخْطُبَ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَتْرُكَ الْخَاطِبُ قَبْلَهُ أَوْ يَأْذَنَ لَهُ الْخَاطِبُ»[٣].

وخامسة هذه المنهيات في قوله ﷺ: «وَلَا تَسْأَلِ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ الْأُخْرَى لِتَكْتَفِئَ مَا فِي إِنَائِهَا» (فتشترط المرأة على من أراد الزواج منها أن يطلِّق امرأته الأولى أولاً وتكون لها نفقتها ولا يكون إلا لها[٤]) وهذا لا يفيدها إذ كُلُّ شيء مكتوب ومقدر بعلمه ـ سبحانه ـ جاء عن النبي ﷺ قوله: «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تَسْأَلُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا فَإِنَّمَا لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا»[٥]، قال الحافظ ابن حجر: (لو

---

(١) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٨/ ٧٥ .

(٢) شرح النووي على مسلم ٩/ ١٩٧ .

(٣) رواه البخاري ٥١٤٢.

(٤) عمدة القاري ١٣/ ٣٠٠ .

(٥) رواه البخاري ٥١٥٢ .

أجابها وطلق من تظن أنها تزاحمها في رزقها؛ فإنه لا يحصل لها من ذلك إلا ما كتب الله لها سواء أجابها أو لم يجبها، وهو كقول الله ـ تعالى ـ في الآية الأخرى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾[1] [2])، فهذه منهيات من شأنها أن تفرق الجماعة التي يجب أن يكون عليها المسلمون وتولد في صدورهم الضغينة والبغضاء، فيجب على المسلم أن يَحْذرها، ويحذِّر منها وأن تكون همته كهمم ذوي النفوس السليمة والعقود الصحيحة البراء من المكر والغش والخديعة وعليه أن يحوي فضائل الأبرار وسجايا الفضلاء، فلا يظلمهم ولا يحقرهم، وبهذا يستنير وجهه ويستريح ضميره ويحرز ثواب الله الموعود في الدنيا والآخرة.

ما يرشد إليه الحديث:

١ـ التناجش والتباغض والأثرة والخداع والغش كلها رذائل حاربها الإسلام وحذر منها؛ لأنها تناقض آداب الأخوة بين المسلمين وتجفف عواطف المودة بينهم وتثير حفائظهم وتؤجج نار العداوة بينهم.

٢ـ كل افتئات أو مطلب يتعارض مع أحكام الشرع وقواعده وآدابه فهو محرم أو مكروه منهي عنه.

٣ـ حرص النبيﷺ على أمته وتوجيههم إلى ما يؤلف قلوبهم ويوحد بينهم ويزيل الأثرة البغيضة من نفوسهم ويجعلهم متحابين متعاونين على الخير دائماً.

---

(١) فتح الباري ١١/ ٤٩٥.

(٢) التوبة:٥١.

٣٠ الحديث الثلاثون

سرعة انقضاء أيام الدنيا وتقلبها بأهلها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ الْقَتْلُ**»[١].

لغة الحديث:

يَتَقَارَبُ: أي تُقَرَّبُ الساعات، وقيل المراد أهل الزمان تَقْصُر أعمارهم[٢].

الْفِتَنُ: الفتنة العذاب، والفتنة أن يفتن الله قوماً أي يبتليهم[٣].

الشُّحُّ: هو أشد البخل، وقيل البخل في أفراد الأمور وآحادها و الشح يكون في جميعها[٤].

معنى الحديث:

جعل الله ليوم القيامة أشراطاً وعلاماتٍ، وأرسل رسلاً مبشرين ومنذرين، وختمهم بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ الذي قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ أَوْ كَهَاتَيْنِ وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى»[٥]؛ إشارة لقربها ولدنو وقوعها وذكر ﷺ في أكثر من حديث علامات الساعة وأشراطها إضافة إلى ما ذكره القرآن الكريم في وصفها تفصيلاً وبياناً لها، وفي هذا دعوة للإيمان بالله

---

(١) رواه البخاري ١٠٣٦، ومسلم ١٥٧.

(٢) مشارق الأنوار ١/ ٣١١.

(٣) العين ٨/ ١٢٧.

(٤) العين ٨/ ١٢٧.

(٥) رواه البخاري ٥٣٠١ .

ـ تعالى ـ وباليوم الآخر والتأهب لما بعد الموت فإن الساعة قد قربت وظهر كثير من أشراطها وعلاماتها ومن هذه العلامات خمس.

وأولى هذه العلامات: في قوله ﷺ «**يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ**» أي تدنو وتتقارب الأوقات وتذهب البركة منها فلا يظهر التفاوت في الليل والنهار بالقصر والطول فتذهب البركة؛ فيذهب اليوم والليلة بسرعة[١] ومنه حديث الرسول ﷺ «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ فَتَكُونُ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَالضَّرَمَةِ بِالنَّارِ»[٢].

قال الإمام البيضاوي: (يحتمل أن يكون المراد بتقارب الزمان تسارع الدول في الانقضاء والقرون إلى الانقراض فيتقارب زمانهم وتتدانى أيامهم) **وقال ابن بطال**: (معناه والله أعلم تفاوت أحواله في أهله في قلة الدين حتى لا يكون فيهم من يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر لغلبة الفسق وظهور أهله)[٣] فإذا كان الأمر كذلك كانت الأعمار قصيرة لقلة البركة في أيام عمرها وسنينها فمن تهاون ضاع وخاب وخسر.

ومن هذه العلائم أيضاً قبض العلم: بقبض العلماء[٤] فإن العلم لا ينتهي بانقضائه ولكن بموت أصحابه وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا

---

(١)فتح الباري ٢/ ٥٢٢ ، وعمدة القاري ٢٢٤/ ١٨٢ ، وتحفة الأحوذي ٦/ ٤٥٢ .

(٢)حديث صحيح ، انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني ٢٣٣٢ ، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٧٤٢٢ .

(٣)عمدة القاري ٢٤/ ١٨٢ .

(٤)عمدة القاري ٢٤/ ٢١٥ ، وفيض القدير ٤/ ١١٧ .

اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[١].

ومن هذه العلامات قوله ﷺ «وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ» المراد كثرتها واشتهارها وعدم التكاتم بها[٢]، فإذا كانت كذلك ترتبت عليها المحن، وفي الحديث يقول ﷺ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا»[٣] فالفتن من أصعب ما يمر به المرء والنجاة منها بالاعتصام بالدين واجتنابها حتى بالفرار أو الانفراد، وقد نص على ذلك قوله ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ»[٤].

وقوله ﷺ «وَيُلْقَى الشُّحُّ» قال الحافظ ابن حجر: (إلقاؤه في قلوب الناس على اختلاف أحوالهم حتى يبخل العالم بعلمه فيترك التعليم والفتوى ويبخل الصانع بصناعته حتى يترك تعليم غيره ويبخل الغني بماله حتى يهلك الفقير وليس المراد وجود أصل الشح لأنه لم يزل موجوداً)[٥].

ومن ذلك أيضاً قوله ﷺ: «وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ. قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: الْقَتْلُ» فيكثر القتال بين الناس، ويتهارجون فيما بينهم، فينشأ بينهم الخلاف، ويتهاونون بسفك الدماء، وقد صح عنه ﷺ في حديث آخر[٦] قوله: « بَادِرُوا بِالْمَوْتِ سِتًّا إِمْرَةَ

---

(١) رواه البخاري ١٠٠ .

(٢)فتح الباري ١٣/ ١٨ ، وانظر: عمدة القاري ٢٤/ ١١٨٣، مرقاة المفاتيح ١٠/ ١٧.

(٣)رواه مسلم ١١٨ .

(٤)رواه البخاري ١١٥ .

(٥)فتح الباري ١٣/ ١٧، وانظر: الديباج على مسلم ٦/ ٣٨، ومرقاة المفاتيح ١٠/ ١٧ .

(٦) سيأتي شرحه في السلسلة التالية إن شاء الله وهي (أربعون حديثاً كل حديث في ست خصال) نسأل الله العون والتوفيق.

السُّفَهَاءِ وَكَثْرَةَ الشُّرَطِ وَبَيْعَ الْحُكْمِ وَاسْتِخْفَافًا بِالدَّمِ وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ وَنَشْئًا يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ يُقَدِّمُونَهُ يُغَنِّيهِمْ وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ مِنْهُمْ فِقْهًا»[1].

نسأل الله ـ تعالى ـ: أن يوفقنا للعمل بما يرضيه وأن يجنبنا مساخطه ومناهيه وأن يختنم لنا بخاتمة العادة أجمعين.

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ إخبار النبي ﷺ ببعض أشراط الساعة وإخباره صدق وعدل.

٢ ـ هذه العلامات المذكورة هي من العلامات الصغرى، وثم علامات كبرى مبثوتة في مواضعها من التآليف المتخصصة في هذا الموضوع.

٣ ـ ظهور أكثر أشراط الساعة دليل على قربها وعلى أننا في آخر أيام الدنيا فعلى المسلم حسن الاستعداد وألا يغترَّ بطول الأمل.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١٥٦١٠.

٣١ الحديث الحادي والثلاثون

الإيمان يحصن العبد من الوقوع في الموبقات المهلكة

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ إن النبي ﷺ قال: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِيْنَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِيْنَ يَشْرَبُها وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِيْنَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ أَبْصَارَهُمْ فِيْهَا حِيْنَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ حِيْنَ يَغُلُّ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَإِيَّاكُمْ»(١).

لغة الحديث:

النُّهْبَةُ: المراد به المال المأخوذ جهراً قهراً(٢).

ذَاتَ شَرَفٍ: أي ذات قدر عظيم(٣).

الغل: هو من الغُلولِ وهو الخِيانَة(٤).

معنى الحديث:

الدين الإسلامي دين عقيدة وآداب منهج وسلوك مستقيم يَسَعُ المسلم شرائعه وآدابه وسلوكه؛ فيأتمر بأوامره وينتهي عن نواهيه، فهو سلوك وعمل وأخلاق وفي الحديث سُئِلت أم المؤمنين عَائِشَة ـ رضي الله عنها ـ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»(٥)، فالصلاة تنهى عن الفحشاء، والمنكر قال

---

(١) حديث صحيح، انظر: مشكاة المصابيح بتعليق الشيخ الألباني٥٣، وورد بألفاظ متقاربه، انظر صحيح سنن النسائي للألباني ٥٦٥٩، صحيح سنن ابن ماجه للألباني ٣٩٣٦.

(٢) فتح الباري ١٢/ ٥٩.

(٣) فتح الباري ١٢/ ٥٩، وانظر: عمدة القاري ١٣/ ٢٧.

(٤) شرح النووي ٢/ ٤٥.

(٥)رواه الإمام أحمد في المسند ٢٤٧٧٤.

ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ فالمؤمن في كل أحواله مؤتمر بأوامر الله يُرْجِع أمره كله لله في مأكله ومشربه وتعامله، يتقى الله ويخافه فإن كان كذلك كان على درجة من تمام الإيمان فإن خرق إحداها انخرق إيمانه بمقدار ذنبه وجُرمه وفي هذا الحديث يبين لنا ﷺ ذنوباً ومهلكاتٍ من يفعلُها لا يكون حين فِعلها مؤمناً كامل الإيمان، فهي لا تخرجه من الدين ولا تجعله كافراً إلا إذا استحلها أو استحل محرماً منها فَيَكْفُر حينئذ؛ لأنها محرمةٌ مُجمع على تحريمها بالنص الصريح، **قال القاضي عياض**: (نبه بهذا الحديث على جميع أنواع المعاصي فبالزنى على جميع الشهوات، وبالسرقة على الرغبة في الدنيا والحرص على الحرام، وبالخمر على جميع ما يصد عن الله ويوجب الغفلة عن حقوقه، وبالنهبة على الاستخفاف بعباد الله وترك توقيرهم والحياء منهم وجمع الدنيا من غير وجهها[1].

وهذه الخصال قوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» وما ذهب إليه الجمهور من أهل العلم أن المراد أنه لا يكون مؤمناً كامل الإيمان[2] فهو لا يفعل هذه المعصية وهو كامل الإيمان، فقد أجمع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفَّرون بذلك بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان، فإن من وقع منه ذلك فلضعف إيمانه وذهاب نور اليقين من قلبه وزوال الحياء من الله وعدم رجاء ثوابه واتقاء عقابه[3].

وكذلك**«لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»** كامل الإيمان **قال ابن بطال**: (هذا أشد ما ورد في شرب الخمر وحمل أهل السنة الإيمان هنا على الإيمان

---

(١)شرح النووي ١/ ٧٨.

(٢)شرح النووي ١/ ٧٨.

(٣) حديث صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني٢٦٢٥، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٥٨٦.

الكامل لأن العاصي يصير أنقص حالاً في الإيمان ممن لا يعصي[١]، فالخمر لا تليق بمؤمن أبدا فهي بداية كل جرم وهي «أُمُّ الْخَبَائِثِ، ثم قال فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهُ وَاللهِ لَا يَجْتَمِعُ وَالْإِيمَانُ أَبَدًا إِلَّا يُوشِكُ أَحَدُهُمَا أَنْ يُخْرِجَ صَاحِبَهُ»[٢].

وكذا من سرق فحاله حال من اقترف الزنى أو شرب الخمر: لا يكون مؤمناً كامل الإيمان حين يسرق لأنه خالف مقتضاه وهو الاستسلام للأوامر والنواهي مع التصديق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية تعقيباً على ذلك: (إن أهل السنة يقولون هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فلا يعطى الاسم المطلق ولا يُسلَبُ مطلق الاسم)[٣].

وكذا من انتهبَ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يرفع الناسُ إليه أبصارَهم فيها حين يَنْتَهِبُهَا وهو مؤمن» فيأخذ المال قهراً وجهراً على مرأى ومسمع من الناس ولا يكون والحال ما ذكر مؤمناً كامل الإيمان بل إنه اقترف معصية تقدح في إيمانه، فقد قام بالأخذ على وجه العلانية والقهر والتوصيف بالشرف وبرفع أبصار الناس إليه لبيان قسوة قلبه وقلة رحمته وحيائه[٤].

وآخر هذه الصفات الغُلُّ من الغنيمة: «ولا يغُلَّ أحدُكم حين يغُل وهو مؤمن فإياكُم» (أي لا يسرق شيئاً من غنيمة أو يخون في أمانة وهو مؤمن)[٥] ففيه

---

(١) انظر: فتح الباري ١٠/ ٣٤، وشرح النووي ٢/ ٤١.

(٢) حديث صحيح، انظر: صحيح سنن النسائي للألباني ٥٦٦٦.

(٣) مجموع الفتاوى ٣/ ١٥٢.

(٤) شرح النووي، ٢/ ٤٢، وانظر: فتح الباري ١٢/ ٥٩، حاشية السندي ٨/ ٦٤، وشرح السيوطي لسنن النسائي ٨/ ٦٤.

(٥) مرقاة المفاتيح ١/ ٢١٠.

تحذير شديد ووعيد وتأكيد على الحذر من فعل ذلك ونقل النووي الإجماع على أنه من الكبائر وكذا جاء التصريح في القرآن والسنة بأن الغال يأتي يوم القيامة والشيء الذي غله معه[١] فكلٌ مستأمَنٌ ومسائِلٌ، يحمل يوم القيامة ما خان به وما غله كما صرح بذلك البشير النذير ﷺ، جاء عنه من حديث طويل «فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً جَاءَ بِهَا لَهَا خُوَارٌ وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَ بِهَا تَيْعَرُ فَقَدْ بَلَّغْتُ فَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ حَتَّى إِنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى عُفْرَةِ إِبْطَيْهِ»[٢].

فليحذرْ المؤمنُ كلَّ الحذر من اقتراف هذه الموبقات المهلكات ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ... الآية﴾ نسأل الله الهداية وأن يجنبنا مزالق الغواية إنه سميع مجيب.

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ الإيمان يزيد وينقص بمعنى: أن من فعل شيئاً من هذه المعاصي ينتفي عنه كمال الإيمان الواجب وينزل عنه في درجة الإسلام وينقص إيمانه فلا يطلق عليه الإيمان إلا بلفظ المعصية أو الفسوق، يقال مؤمن عاصٍ، أو يقال: مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته فيكون معه مطلق الإيمان وهذا ما عليه سلف هذه الأمة وأئمتها.

٢ ـ بلاغة النبي ﷺ وفصاحته وبراعة استهلاله حيث ينطق بالألفاظ التي تركز في الذهن ويجيش بها الفهم ويقرن الشيء وبدليله: أي: لا تزن إن كنت

(١) تحفة الأحوذي ٥/ ١٦٣.

(٢) رواه البخاري ٦٦٣٦ .

مؤمناً؛ لأن المؤمن لا يزني، ولا تسرق إن كنت سارقاً؛ لأن المؤمن لا يسرق.... وهكذا.

٣ـ قول الرسول ﷺ: «.... فإياكم...» أي احذروا أن تواقعوا هذه المهلكات، فإن هذه المهلكات لا يفعلها مؤمن كامل الإيمان.

٣٢ الحديث الثاني والثلاثون

الحث على الزراعة وبيان فضل التصدق من ثمارها

عَنْ جَابِرٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتْ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ»(١).

لغة الحديث:

الغَرْس: المغروس من الشجر أو نحوه(٢).

الصَّدَقَة: العطية يبتغى بها المثوبة من الله، وقال الراغب: ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة(٣).

يَرْزَؤُهُ: يصيب من ماله شيئاً(٤).

معنى الحديث:

أنعم الله على عباده نعماً كثيرة وعطايا وفيرة تستوجب الشكر وتستلزم الإنفاق منها ابتغاء وجه الله وثوابه ونفع مخلوقاته؛ فما من «مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً» بيان لفضل الزراعة وأن أجرها وثوابها ممتد قال الإمام النووي - رحمه الله -: (وأجر فاعل ذلك مستمر مادام الغراس والزرع وما تولد

---

(١) رواه مسلم ١٥٥٢.

(٢) المعجم الوسيط ٢/ ٦٤٩.

(٣) التعاريف ١/ ٤٥٢.

(٤) لسان العرب ١/ ٨٥.

منه إلى يوم القيامة)[1] يؤيد ذلك حثه ﷺ على الغرس والزرع فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ»[2] ومفهومه أن المسلم إذا زرع زرعاً أو غرس غرساً من شجر ونحوه فله ثواب ذلك سواء تصدق بالمأكول أم لا[3].

وكذا «مَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ» (أي فإن أُكل منه بدون علمه فله الأجر وعلى الآكل الحساب فهو مثاب على ما سُرق منه فيحصل له مثل ثواب التصدُّق بالمسروق؛ فبأي سبب يؤكل مال المسلم يحصل له الثواب وفي هذا تسلية له بالصبر على نقصان المال فإن أجره بغير حساب)[4].

وكذا ما أكل منه حيوان من الدواب أو أتلفه سَبع من سباعها فهو له به صدقة أيضاً[5] يؤيد ذلك قوله ﷺ في حديث آخر: «لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا وَلَا يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ»[6] فإن الأجر له مادام هذا الأكل والثمر.

وما أصابت الطيور من زرعه كان ذلك صدقة له؛ تكفر من خطاياه

---

(١) شرح النووي ١٠/ ٢١٣.

(٢) حديث صحيح، رواه الإمام أحمد في المسند (١٢٥٦٩) وانظر: صحيح الجامع الصغير للألباني (١٤٢٤) وصحيح الأدب المفرد للألباني (٤٧٩) والسلسلة الصحيحة للألباني (٩).

(٣) فيض القدير ٥/ ٤٩٦.

(٤) شرح النووي ١٠/ ٢١٣، وانظر: مرقاة المفاتيح ٤/ ٣٤٨.

(٥) شرح النووي ١٠/ ٢١٣.

(٦) رواه مسلم ١٥٥٢.

وتزيده ثواباً وأجراً، قال النبي ﷺ: «في كل كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[1].

وكذا لا ينقص من زرعه شيء إلا كان له صدقة بكل ما نقص وأخذ منه[2] ويكون ذلك إجمالاً بعد تفصيل لأن يَرْزَؤُهُ بمعنى يصيب من ماله شيئاً[3] كريح عاصف أو سيل جارف أو حشرات قارضة، فسبحان من تفضل على عباده بالنعم وأمرهم بالإنفاق والتصدق منها في وجوه البر التي يعم نفعها ويكثر ثوابها ووعدهم على ذلك بالبركة والنماء في الدنيا وعظيم الأجر والثواب في الآخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ لا يحقِرنَّ المسلم شيئاً من العمل، فإن اللهَ واسع عليم لا ينحصر فضلُهُ ولا يُحَدُّ عطاؤُه.

٢ ـ الرحمة بالبهائم تدخل في إطار الرحمة العامة التي عبَّر عنها النبي ﷺ: «ارحموا من في الأرض يرحمكم في السماء».

٣ ـ الصدقة تعم المال وغيره من الزروع والثمار، وفيه الحث على الزراعة وإعمار الأرض.

---

(١) صحيح البخاري: ٢٢٣٤، ومسلم: ٢٢٤٤.

(٢) شرح النووي ١٠/ ٢١٣ ، وانظر: الديباج ٤/ ١٦٤ .

(٣)لسان العرب ١/ ٨٥.

٣٣ الحديث الثالث والثلاثون

فضل القرون الأولى على المتأخرة

عَنْ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ»(١).

لغة الحديث:

القَرْنُ: الأمة التي تقاربت مواليدها كأنها اقترنت(٢).

وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ: معناه يظهر فيهم شهادة الزور(٣).

وَلَا يُؤْتَمَنُونَ: أي ليسوا ممن يوثق بهم(٤).

السِّمَنُ: هو التوسع في المأكول والمشروب زائداً على المعتاد(٥).

معنى الحديث:

إن الله اصطفى الأنبياء على سائر البشر، قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ(٦)... الآية ﴾ واصطفى محمداً على الأنبياء

---

(١) رواه البخاري ٣٦٥٠، ومسلم ٢٥٣٥.

(٢) التعاريف ١/ ٥٧٨ .

(٣) عمدة القاري ١٦/ ١٧١.

(٤) عمدة القاري ١٦/ ١٧١.

(٥) شرح النووي على مسلم ١٦/ ٨٦.

(٦) الحج: ٧٥.

والمرسلين، وجعله خاتم الأنبياء، ثم اصطفى من بعده الصحابة على من دونهم ثم اصطفى من سار على نهجهم واتَّبعهم بإحسان، وهم التابعون؛ فهم الأصفى قلوباً والأغزر إيماناً والأَجَلُّ تقديراً، والأعلى منزلةً وفي بيان فضلهم، وعِظَمِ قدرهم قال ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ قَالَ عِمْرَانُ فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا» «فخير القرون بعد قرن النبي ﷺ هو قرن الصحابة فهم النور في وسط الظلام؛ فقد كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار حينئذ وصبرهم على أذاهم وتمسكهم بدينهم»[1] وصح عنه ﷺ أنه قال: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ؛ فَإِذَا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي؛ فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»[2]، ثم التابعون الذين شهدوا عصور الصحابة، ونهلوا من ينابيع علمهم واكتحلت عيونهم برؤيتهم ثم يقل الفضل، كلما تقدم الزمان وتوالت القرون.

ثم يأتي من بعد خير القرون أناس «يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ» ويقدمون على الشهادة دون أن تطلب منهم «وهو محمول على شاهد الزور فيشهد بما لا أصل له ولم يستشهد»[3] فيكون كاذباً في شهادته ويقدم عليها ويتجرأ دون أن تطلب منه، ويؤيد ذلك ما صح عنه ﷺ بقوله: «احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَشْهَدَ الرَّجُلُ وَمَا يُسْتَشْهَدُ وَيَحْلِفَ

---

(١)فتح الباري ٧/ ٦ .

(٢)مسلم ٢٥٣١ .

(٣)شرح النووي على مسلم ١٢/ ١٧.

وَمَا يُسْتَحْلَفُ»[(١)].

ومن خصالهم أيضاً أنهم «يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ» وتنتشر فيهم الخيانةُ والكذبُ حتى تكونَ سمةً لهم ويشتهروا بها؛ فلا يؤتمنوا على أمانة؛ فخيانتهم خيانةً ظاهرة بحيث لا يبقى معها أمانة، أو أنهم يطلبون الأمانة ويسعون إليها ثم يخونون[(٢)]؛ فهم بذلك من شرار الناس.

ومن صفاتهم «وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ»؛ فالوفاء بالنذر واجب لا خلاف فيه إن كان في طاعة، ولكن من صفات هؤلاء أنهم يوجبون على أنفسهم أشياء ولا يقومون بالخروج عن عهدتها ولا يبالون بتركها[(٣)]؛ فهذه الصفات هي منابع الشر في الأقوام والقرون، ولا يستقيم معهم حال أو يستنير لهم بها طريق.

ومن أوصافهم كذلك أنه يظهر عليهم السِّمَن: لكونهم مشهورين بكثرة الأكل ومن ثم كثرة الأموال، فهي كثيرة لديهم ينفقون الكثير منها على المأكل والمشرب فَتَسْمَنُ أجسامُهم من حبهم التوسعَ في المآكل والمشارب وهي أسباب السِّمَنِ.

قال جمهور العلماء في معنى هذا الحديث المراد بالسمن هنا كثرة اللحم ويذم محبته وتعاطيه»[(٤)] ولكن من رحمة الله بعباده ولطفه بهم أن يَبْقَى الخيرُ، وإن

---

(١) حديث صحيح، انظر: صحيح سنن ابن ماجه للألباني ٢٣٦٣، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٢٠٦، والسلسلة الصحيحة ١١١٦.

(٢) شرح النووي على مسلم ١٦/ ٨٨، وانظر: عمدة القاري ١٦/ ١٧١، وعون المعبود ١٢/ ٢٦٨، مرقاة المفاتيح ١١/ ١٥٧.

(٣) شرح النووي على مسلم ١٦/ ٨٨، وانظر: عون المعبود ١٢/ ٢٦٨، مرقاة المفاتيح ١١/ ١٥٧.

(٤) فتح الباري ٥/ ٢٦٠، وانظر: شرح النووي على مسلم ١٦/ ٨٦، وعمدة القاري ١٣/ ٢١٤.

قَلَّ في الأمة إلى يوم القيامة.

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ جواز افتخار الإنسان بنفسه وبمن حوله إن كان مراداً به التحدث بنعمة الله ـ تعالى ـ.

٢ ـ إخباره ﷺ بأمور الغيب مسلك من مسالك تقرير نبوته ﷺ فما أخبر به من الغيوب الماضية والغيوب المستقبلة التي وقعت أو ستقع حقٌّ لا يُنكرُ.

٣ ـ لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق.

٣٤

الحديث الرابع والثلاثون

فضائل وآداب إسلامية

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ نَاسًا مِنْ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ؛ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ؛ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ؛ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ»[١].

لغة الحديث:

يَسْتَعْفِفْ: أي يمتنع عن السؤال[٢].

يَسْتَغْنِ: أي يستغني بالله عن السؤال يخلق في قلبه الغنى فإن الغنى غنى النفس[٣].

وَمَنْ يَتَصَبَّرْ: أي يتصبر عن السؤال والتطلع إلى ما في أيدي الناس بأن يتجرع مرارة ذلك ولا يشكو التحمل[٤].

معنى الحديث:

حسن التوكل على الله من عِظَمِ إيمان المرء وكلما ازداد إيمانه، وازداد يقينُه فتراه في جميع أمره متوكِّلاً على الله؛ فحياته لله وعمله لله، وخطاه لله يسأل الله ويستعين به ويشكو إليه وحده لا سواه؛ فحالُه حينئذ حالُ مستعينٍ بالله واثق به

---

(١) رواه البخاري ١٢٦٩ .

(٢) فتح الباري ١١/ ٣٠٤ .

(٣) فتح الباري ١١/ ٣٠٤ .

(٤) تحفة الأحوذي ٦/ ١٤٣ .

بأن النافع، والضار هو الله بيده الخير والأمر وهو على كل شيء قدير.

ورسولنا ﷺ جعله ربه متصفاً بأقصى درجات الرحمة والرأفة والإيثار ... ولا غَرْوَ: فقد كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أجودَ بالخير من الريح المرسلة كما صح في الخبر عنه ﷺ فهو قدوة لكل موحِّد ومثالاً لكل من يقتدي ..... أوتي من جوامع الكلم مفصحاً عن كلماتٍ هي أغني وأغلى من الكنوز والدُّرر ولا عجب؛ فقد عُرف عنه ﷺ جوده وكرمه، وإنفاقه في سبيل الله.

وهاهم جماعة من الأنصار يسألونه فيعطيهم ثم سألوه ثانيةً فأعطاهم وثالثة كذلك حتى أنفق كل ما لديه ﷺ فقال لهم ﷺ: «**مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ**»، وما يكون عنده من شيء؛ فلن ينفرد به لنفسه، ويمنعه ويحبسه عنهم أو عن غيرهم. فهذا هو حاله ﷺ كان جواداً منفقاً كريماً بطيب نفس وانشراح صدر، ثم يوجه أنظارهم بأن من يُعْطَ فلْيَرْض ومن لم يُعْطَ فلْيستَعْفِفْ. «**وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ**» فمن طلب العفة عن السؤال والاستغناء عن الناس وتصبَّر فإن الصبر جامع لمكارم الأخلاق ﷺ؛ فيرزقه الله العفة أي الكف عن الحرام، **قال الإمام الطيبي**: معناه من طلب العفة عن السؤال ولم يظهر الاستغناء فمن استغنى بالله عن السؤال أغناه الله»[1]؛ بل صح عنه ﷺ فيما رواه عنه ثَوْبَانَ رضي الله عنه (وَكَانَ ثَوْبَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يَكْفُلُ لِي أَلَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً، وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ فَقَالَ ثَوْبَانُ أَنَا فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا**»[2]؛ ففضل الاستعفاف عظيم، وأجره كبير لمن كان متوكلاً على الله حق

---

(١) عمدة القاري ٩/ ٤٩، وانظر: مرقاة المفاتيح ٤/ ٣٢٩.

(٢) حديث صحيح، انظر: صحيح سنن أبو داود للألباني ١٦٤٣، ومشكاة المصابيح للألباني ١٨٧٥.

التوكل، ومن يطلب الغنى من الله يُعْطَهُ ويخلق في قلبه غِنىً أو يعطيه ما يستغنى به عن الخلق فالغنى غنى النفس كما قال ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»(١)؛ فهذا هو السبيل والملجأ لمن أراد صواب الطريق «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ»؛ فمن يعالج نفسه على ترك السؤال فيقصد الصبر ويؤثره يُعِنْهُ اللهُ عليه ويوفقه له ويطلب التوفيقَ على الصبر من الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾(٢) أو يصبر إلى أن يحصل له الرزق؛ فإن الله يقوِّيه ويمكِّنهُ من نفسه حتى تنقادَ له ويُذْعِنَ لتحمل الشدة فعند ذلك يكون اللهُ معه؛ فيظفر بمطلوبه، وهو تعميم بعد تخصيص؛ لأن الصبر يشتمل على صبر الطاعة، والمعصية والبَلِيَّة أو من يتصبر عن السؤال والتطلع إلى ما في أيدي الناس بأن يتجرع مرارة ذلك، ولا يشكو يُصَبِّره الله. **قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:** «فالمستغني لا يستشرف بقلبه والمستَعِفُّ هو الذي لا يسأل الناس بلسانه والمتصبِّر هو الذي لا يتكلف الصبر؛ فأخبر أنه من يتصبر يصبِّره الله وهذا كأنه في سياق الصبر على الفاقة بأن يصبر على مرارة الحاجة لا يجزع مِمَّا ابْتُلِيَ به من الفقر، وهو الصبر في البأساء والضراء قال تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾»(٣)؛ فهذه جملة من الخصال، والمعاني الجامعة لكثير من الفضائل والآداب التي جاء بها الإسلام.

---

(١) رواه البخاري ٦٤٤٦ .

(٢) النحل: ١٢٧.

(٣) مجموع الفتاوى ١٠/ ٥٧٥.

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «وفي ذلك من الفوائد، فيه ما كان عليه من السخاء، وإنفاذ أمر الله، وفيه إعطاء السائل مرتين، والاعتذار إلى السائل والحض على التعفف، وفيه جواز السؤال للحاجة وإن كان الأولى تركه، والصبر حتى يأتيه رزقه بغير مسألة»[1]، والله أعلم.

(١) فتح الباري ٣/ ٣٣٦، وانظر: تحفة الأحوذي ٦/ ١٤٣، وحاشية السندي ٥/ ٩٥، وشرح الزرقاني ٤/ ٥٤٣.

٣٥ الحديث الخامس والثلاثون

أسس عقيدة الإسلام وشرائعه

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ؛ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ؛ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ؛ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ؛ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ؛ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»[1]

لغة الحديث:

كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ: نفائسها التي تتعلق بها نفس مالكها ويختصها لها حيث هي جامعة للكمال الممكن في حقها وواحدتها كريمة[2]

الْمَظْلُومِ: المضام يقال :ضامه في الأمر و ضامه في حقه يضيمه ضيما وهو الانتقاص و استضامه فهو مضيم مستضام أي مظلوم[3].

حِجَابٌ: الحجاب هو كل ما ستر المطلوب أو منع من الوصول إليه[4] والمعنى ليس هناك حائل أو مانع من استجابة دعائه.

---

(١) رواه البخاري ١٤٩٦، ومسلم ١٩.

(٢) لسان العرب ١٢/ ٥١٤ .

(٣) لسان العرب ١٢/ ٣٥٩ .

(٤) لسان العرب ١/ ٢٨٦ .

معنى الحديث :

أُرْسِل رسولنا محمد ﷺ إلى الثقلين الإنس والجن فبدأ بدعوته مؤدياً أمانته مُبلِّغاً رسالة ربه طائعاً مختاراً ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[1] فأرسل ﷺ الرسل إلى الأقطار للدعوة إلى توحيد الله ـ عز وجل ـ فكان ممن أُرسِل إلى اليمن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ؛ فأرسله إلى اليمن داعياً إلى الله، ورسولاً من رسوله ﷺ ومعلماً إياهم أركان الدين الإسلامي وشرائعه ولم يترك ﷺ سبباً يؤيده في دعوته إلا أمره به؛ فبدأ ﷺ بقوله: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ» فإنه سَيَقْدُمُ على قومٍ من «اليهود والنصاري» لتهيئته ولتوطئتة، وللتمهيد للوصية باستجماع همته في دعوتهم؛ فإن أهل الكتاب أهل علم ومخاطبتهم لا تكون كمخاطبة جُهال المشركين وعبدة الأوثان في العناية بها[2]. فبدأ وصيته بتوحيد الله ـ عز وجل ـ: «**فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**»؛ فالشهادتان أصل العقيدة والتكليف يبدأ بالتوحيد أولاً؛ لأنه أصل الدين فتكون مطالبتهم بالتوحيد أولاً لنفي ما يلزم من عقائدهم[3]؛ فمن كان منهم غير موحِّد على التحقيق كالنصارى؛ فالمطالبة متوجهة إليه بكل واحدة من الشهادتين توحيد الله، والإقرار برسالة محمد ﷺ ومن كان موحداً كاليهود؛ فالمطالبة له بالجمع بين ما أقر به من التوحيد وبين الإقرار برسالة نبينا محمد ﷺ فمن أقر بالتوحيد أطاع أمر الله ورسوله ﷺ، وفيه بديع حكمته ﷺ في التدرج بالدعوة؛ فهي أيسر

---

(١) لسان العرب ١/ ٢٨٦ .

(٢) فتح الباري ٣/ ٣٥٨ .

(٣) فتح الباري ٣/ ٣٥٨ .

وأسهل على النفس، وأبلغ في الدعوة، ويقال أنه بدأ بالأهم فالأهم وذلك من التلطف في الخطاب؛ لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة منهم، «فإن أطاعوا وآمنوا بأن نطقوا بألسنتهم وأقروا وأيقنت قلوبهم فعليه: **إعلامهم بما فرض عليهم**؛ لأن الكفارَ غيرُ مطالبين بالتكاليف إلا بعد الإسلام وأول هذه التكاليف الشرعية الصلاة فالصلاة هي عماد الدين، وأساس العبادة وذكر الصلاة لا يقتضي الترتيب؛ لأن الصلاة والزكاة لا ترتيب بينهما، ولاقترانهما مع بعضهما البعض في الذكر في: **القرآن والسنة**، وإن كان تقديم الصلاة في الذكر؛ لأن الصلاة واجبة على المكلف رجلاً أو امرأة، فقيراً كان أو غنياً. أما الزكاة فلا تجب إلا على الأغنياء ممن ملك نصابَها»[1] وقوله إن هم أطاعوك قال ابن دقيق العيد: يحتمل وجهين أحدهما أن يكون المراد إقرارهم بوجوبها عليهم والتزامهم بها والثاني أن يكون المراد الطاعة بالفعل بأن يؤدوها ويواظبوا عليها» [2]، ورجح ابن حجر في الفتح أن يكون المراد هو إقرارهم بوجوبها والتزامهم لها إخبارهم **«أَنَّ اللهَّ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»** فالزكاة هي العبادة المالية التي بها يتكافأ المجتمع وتعم بين أفراده الألفة والمحبة «والمراد بالفقراء هم فقراء عامة المسلمين وهو ما رجحه ابن دقيق العيد»[3] **فإن أطاعوا** وامتثلوا وأقروا بها وَبَدَأتَ في جمعها وهذا دليل على جواز أمر ولي الأمر بجمعها من المكلف؛ فإن عمد من أنيط به جمع الزكاة فَلْيَحْذَرْ أخذَ **«كَرَائِمَ الأَمْوَال»** فنفيسةُ المال التي تتعلق بها نفس مالكها ويختصها له فلا يأخذها، وفي هذا دليل على ترك

---

(١) فتح الباري ٣/ ٣٥٩.

(٢) فتح الباري ٣/ ٣٥٨.

(٣) إحكام الأحكام ٢/ ١٨٣.

أخذ خيار المال «والحكمة فيه أن الزكاة لمواساة الفقراء فلا يناسب ذلك الإجحاف بمال الأغنياء إلا إن رضوا بذلك»[١]، ولْيأْخُذْ من أوسطِ المال. ثُمَّ خَصَّهُ ﷺ بالوصية وهي عامة لجميع المسلمين وهي «اتقاء دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ» إشارة إلى التحرز عن الظلم مطلقاً؛ فدعوة المظلوم ليس لها صارف يصرفها، ولا مانع يمنعها؛ فهي مقبولة وإن كان المظلوم عاصياً[٢]؛ فالظلم شؤم وإثم ومعصية عظيمة يتعلق إثمها بحق لله وحق العباد، وفي الحديث «وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ»[٣].

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ حرص النبي ﷺ على أمته وتعليمهم أمور دينهم واتخاذ جميع الوسائل المعينة على ذلك.

٢ ـ مراعاة حال المدعو من أسس ودعائم الدعوة الصحية.

٣ ـ وجوب البدء بالأهم فالمهم في الدعوة عند تنفيذ الوصية أو قسمة الميراث أو تنفيذ أوامر ولي الأمر.

٤ ـ وقوع التفاضل بين العبادات.

٥ ـ ترك أخذ خيار المال عند جباية الزكاة لئلا ينكسر قلب المزكي ويترك ذلك أثراً في نفسه.

٦ ـ التحرز عن الظلم فإن دعوة المظلوم ليس لها صارف يصرفها أو مانع يمنعها.

---

(١) فتح الباري ٣/ ٣٥٩ .

(٢) فتح الباري ٣/ ٣٦٠ .

(٣) رواه البخاري ٣٠٥٩ .

٣٦ الحديث السادس والثلاثون

كيد الشيطان ووسوسته للإنسان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْه - يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ثَلَاثَ عُقَدٍ إِذَا نَامَ بِكُلِّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ عَلَيْكَ لَيْلًا طَوِيلًا، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عَنْهُ عُقْدَتَانِ، فَإِذَا صَلَّى انْحَلَّتْ الْعُقَدُ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ»[١].

لغة الحديث:

العُقْدَة: توثيق جمع الطرفين المفترقين بحيث يشق حلها[٢].

طَيِّب النَّفْسِ : مُقبل راضي كثير العطاء[٣].

خَبِيث النَّفْسِ: ثقيلها كريه الحال[٤].

معنى الحديث:

إبليسُ - لعنَه الله - وأعوانُه عدوٌّ للإنسان منذ خَلْقِه الأول، وقد أخذ الله العهد من بني آدم على ذلك وحذرهم من كيده وفتكه قال - تعالى -: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[٥] ولا غرو؛ فإنه - لعنه الله - لا يدع مسلكاً ولا طريقاً يغوي أو يُضِل إلا اتبعه ولكنه لا سلطان له

---

(١) رواه البخاري ١١٤٢، ومسلم ٧٧٦.

(٢) التعاريف ١/ ٥٢٠.

(٣) لسان العرب ١٢/ ١٦٩.

(٤) النهاية في غريب الأثر ٢/ ٥.

(٥) النهاية في غريب الأثر ٢/ ٥.

على من اهتدي واتقى قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾[١] فإن غفل العبد عن الهدى كان الشيطان له بالمرصاد لا يترك الكيد له ليلاً أو نهاراً راحةً أو نصباً عملاً أو فراغاً، وفي هذا الحديث بين لنا النبي ﷺ حالَ الشيطان مع ابن آدم وسبيل النجاة منه؛ فيعرض ﷺ الداء والدواء.

«يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ثَلَاثَ عُقَدٍ إِذَا نَامَ بِكُلِّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ عَلَيْكَ لَيْلًا طَوِيلًا»؛ فهو يعقد على مؤخرة رأس الإنسان ثلاث عقد، وفي رواية أخرى بلفظ «قَافِيَةُ رَأْسِ أَحَدِكُمْ حَبْلٌ فِيهِ ثَلَاثُ عُقَدٍ ... »[٢] حين نومه فيُحْكِمُها ويُؤكِّدُها بثلاثٍ؛ ليحجب الحس عن النائم حتى لا يستيقظ إغراءً له بطول الليل، وملازمةِ طولِ الرقاد وحينئذ يضيع الليل؛ فالشيطان يسوفُ له القيام ويَلْبِسُ عليه ويحبب إليه النوم[٣] ويخرج مِنْ هذا مَنْ قرأ آية الكرسي لورود حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ «إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ »[٤].

«فَإِذَا اسْتَيْقَظَ العبد فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ من العُقْدِ الثَّلَاث» ذكر الله بالقلب أو باللسان بكل ما صدق عليه الذكر ويدخل فيه تلاوة القرآن وقراءة الحديث والاشتغال بالعلم الشرعي، والاستغفار يذهب كيد الشيطان[٥] «وَإِذَا

---

(١) الإسراء: ٦٥.

(٢)رواه الإمام أحمد في المسند ٧٣٩٢.

(٣)عمدة القاري ٧/ ١٩٣، وانظر: شرح الزرقاني ١/ ٥٠٨، وتنوير الحوالك ١/ ١٤٦، والديباج على مسلم ٢/ ٣٨٢ وفتح الباري ٣/ ٢٧، وشرح النووي ٦/ ٦٥.

(٤)رواه البخاري (٣٢٧٥).

(٥)شرح الزرقاني ١/ ٥٠٨، وتنوير الحوالك ١/ ١٤٦، وعون المعبود ٤/ ١٣٤.

تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عَنْهُ عُقْدَتَانِ» فإذا قام وتوضأ وضوءه للصلاة انحلت عقدةٌ ثانية وهي عقدةُ النجاسةِ[١] وعدم الطهارة فبطهارته تهيأ وتقرب إلى الله وبَعُدَ عن أسباب الغواية ومداخل الشيطان فإذا قام بالوضوء انحلت العقدة الثانية.

«فَإِذَا صَلَّى فريضةً أو نافلةً انْحَلَّتْ الْعُقَدُ» الثلاث وذلك لِعِظَمِهَا وجليل قدرها وعظيم أثرها؛ ولذا كان فضل الصلاة في جوف الليل على سائر الصلوات وفي الحديث يقول الرسول ﷺ «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»[٢].

وثمرة ما قام به وما فعله أنه يصبح نشيطاً «فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ» أي إذا قام فذكر الله ـ تعالى ـ وتوضأ وصلى أصبح نشيطاً طيِّبَ النفس لسروره بما وفقه الله الكريم له من الطاعة ووعده به من ثوابه مع ما يبارك له في نفسه وتصرفه في كل أموره وزوال كيد الشيطان عنه وتثبيطه له وإلا أصبح خبيثَ النفسِ كسلان؛ لما عليه من عُقَدِ الشيطان وآثار تثبيطه له واستيلائه عليه؛ فلم يَزُلْ ذلك عنه[٣].

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ التحذير من كيد الشيطان وعداوته للإنسان.

٢ ـ الصلاة وذكر الله ـ تعالى ـ حصْنٌ حصين يعصم الإنسان ـ بإذن الله ـ من الوقوع في الخطايا ويبعده عن أسباب الغواية ووساوس الشيطان.

---

(١) شرح الزرقاني ١/ ٥٠٨، وانظر: تنوير الحوالك ١/ ١٤٦، وعون المعبود ٤/ ١٣٤.

(٢) رواه مسلم ١١٦٣.

(٣) شرح النووي ٦/ ٦٦، وانظر: طرح التثريب في شرح التقريب ٣/ ٧٨.

٣ ـ أهمية الطهارة الحسية والمعنوية، وأثر ذلك في الوقاية والنجاة من نزغات الشيطان وفتله بالإنسان.

٤ ـ جواز ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأفهام..

٣٧ الحديث السابع والثلاثون

الفرارُ من الفتن والتحذيرُ من الوقوع فيها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَتكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ، وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُذْ بِهِ»[١].

لغة الحديث:

الفِتْنَةُ: هي البَلِيَّة وهي معاملة تظهر بالأمور الباطنة ...... وقال الراغب الأصفهاني: ما يتبين به حال الإنسان من خير أو شر[٢].

السَّعْيُ: العَدْوُ والْقَصْدُ المشْرُوعُ يكونُ بالأمور الحسِّيَّة والمعنوية[٣].

مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ: أي من تطلع إليها وتعرض لها واتته فوقع فيها[٤].

مَلْجَأً: معاذاً يلتجئ إليه من شرها[٥].

يَعُذْ: أي بما يُعاذُ به والمعنى لجَأْتَ إِلى مَلْجَأٍ[٦].

معنى الحديث:

الفتن والابتلاءات من أعظم الأمور التي قد تواجه المرء في حياته، فهي

---

(١) رواه البخاري ٣٦٠٢، ومسلم ٢٨٨٦.

(٢) التعاريف ١/ ٥٤٩.

(٣) التعاريف ١/ ٤٠٥.

(٤) النهاية في غريب الأثر ٢/ ٤٦٢.

(٥) فتح الباري ١٣/ ٣١.

(٦) غريب الحديث لابن الجوزي ٢/ ١٣٤.

تختبره وتظهره على ما هو عليه من إيمان، فإن كان قوي الإيمان ثابت العقيدة نير البصيرة إذا رأى شيئاً منها كان كالجبل لا يتزحزح وكالطود لا يلين ولا يتأثر

فَهَلْ تَرَى الإِعْصَارَ يَوْماً هَزَّ شُمَّاً رَاسِيَاتٍ

أما الضعيف المهزوز فهو لا يلبث أن يقع فيها فتهوي به في دياجير الضلال؛ لأنه لم يتحصن منها بالإيمان المنيع أو العقيدة الثابتة.

والفتن كثيرة ومتنوعة؛ فمنها ما هو ملازم للمرء لا يتغير في جميع العصور والقرون كفتنة النساء والأموال، ومنها ما هو أعظم كفتنة الدجال والملاحم وتكون في نهاية القرون، فعلى المسلم ألا يتعرض للفتن صغرت أم كبرت بل عليه أن يجتنبها، ولا يخوض فيها يقول ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ»[1] كما يجب عليه عند ظهورها أن يلزم الجماعة ولا ينزع يداً من طاعة، وقد أفرد الإمام مسلم في صحيحه باباً باسم «بَاب وُجُوبِ مُلَازَمَةِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وَفِي كُلِّ حَالٍ وَتَحْرِيمِ الْخُرُوجِ عَلَى الطَّاعَةِ وَمُفَارَقَةِ الْجَمَاعَةِ» وعليه أن يتعوذ منها كذلك قال ﷺ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ قَالَ تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ»[2]، وفي هذا الحديث ذكر النبي ﷺ خمساً منها **«سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ»**؛ فحال القاعد عن التطلع إليها ومشاهدتها خير من القائم الذي قد يتسنى له أن يشاهد أكثر من حال القعود؛ فحاله في الفتنة أفضل من القائم فشرها بحسب

---

(١) رواه البخاري: ١٩ .

(٢) رواه مسلم: ٢٨٦٧ .

التعلق بها، فهو حينئذ يراها ولكنه يقعد عنها لكنه يدافع عن نفسه وعن ماله وعن أهله، وهو معذور إن قَتل أو قُتل؛ فإذا بغت طائفة على الإمام فامتنعت عن الواجب عليها ونصبت الحرب وجب قتالها، وكذلك لو تحاربت طائفتان وجب على كل قادر الأخذ على المخطئ ونصر المظلوم وهذا قول الجمهور [١].

قال الإمام العيني: (والقصد بيان عظم خطرها والحث على تجنبها والهرب منها أو التسبب في شيء من أسبابها وأن شرها يكون على حسب التعلق بها [٢])

«مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ» فمن تطلّع إليها، وتصدى وتعرض لها، ولم يُعرِضْ عنها أهلكته فتطلعه لها يجره إلى الوقوع فيها فتصيبه بِشَرِّها [٣]، ولهذا كان على المرء لزوم الجماعة وعدم الشرود عنها حتى في التصدي للفتن والشرور «فمن وجد موضعاً يلتجئ إليه من شرها ويُعاذُ به من مواقعتها فليستعذ به وليلجأ إليه فأين وجد عاصماً أو موضِعاً يلتجيء إليه ويعتزل إليه فعليه أن يعتصم به» [٤] فالفتن واردة على كل مؤمن بِقَدْرِهَا وبأنواعها وما مِنْ نَبِيٍّ إلا حذَّر قومه من الشر ودعاهم إلى الخير.

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن تقبضنا إليك غير ضالين ولا مفتونين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله على نبينا محمد الذي بشر وأنذر وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) عمدة القاري ٢٤/ ١٩٠ ، ٢٤/ ١٩١.

(٢) عمدة القاري ٢٤/ ١٩٠، وانظر: تحفة الأحوذي ٦/ ٣٦٢ ، وفيض القدير ٤/ ٩٨ ، والتيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٥٧.

(٣) فتح الباري ١٣/ ٣١ ، وانظر: فيض القدير ٤/ ٩٨.

(٤) فتح الباري ١٣/ ٣١ ، وانظر: فيض القدير ٤/ ٩٨ ، والتيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٥٧.

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ العاقل البصير هو من إذا حَلَّتْ فتنة اتقاها وحَذَرَها وحذَّر غيره منها قبل أن تَحِلَّ الثانية والثالثة... وهكذا!، ويكون ذلك بالطاعةِ المُخْبِتَةِ لله والاستقامة على شرائع الله.

٢ ـ الحث على لزوم الجماعة وعدم الخروج عن الطاعة، ومن شذ شذ في النار!.

٣ ـ العُزْلَةُ عند الفتن سنةُ الأنبياءِ وعصمةُ الأولياءِ وسيرةُ الحكماء... أخرج الترمذي في سننه بسنده.. عن أبي أمامة قال: قال عقبة بن عامر الجهني يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «لِيَسَعْكَ بَيْتُكَ وأَمْسِكْ عليك دينك وابْكِ على خطيئتك»[1]. في رواية: «أمسك عليك لسانك ...الحديث».

---

(١) سنن الترمذي ٢٤٠٨.

٣٨ الحديث الثامن والثلاثون

من محاسن التعامل بين المسلمين

المكافأة على المعروف

عَنْ جَابِرٍ ـ رضي الله عنه ـ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ، فَإِنَّ مَنْ أَثْنَى فَقَدْ شَكَرَ، وَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ تَحَلَّى بِمَا لَمْ يُعْطَهُ كَانَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ»[١].

لغة الحديث:

فَلْيَجْزِ: أي فليكافئ[٢].

الثناء: هو ما يذكر عن محامد الناس فيثنى حالاً فحالاً[٣]

كفر النعمة: هو غمط النعمة وكفرها وجحدها وإماتة ذكرها وكتمها[٤].

معنى الحديث:

من الأمور التي تُؤلف القلوب وتزيد المحبة بين المؤمنين العطية والهبة والهدية ولهذا رغب فيها الإسلام إليه أن يقبل الهدية وأن يشكر عليها، ويظهر السرور بها، فمن أُعطي حقاً أو قُضِيَتْ حاجته فليكن عارفاً بحقه، فإن وجد مالاً

---

(١) حديث صحيح ، وانظر: صحيح سنن الترمذي للألباني ٢٠٣٤، والسلسلة الصحيحة ٦١٧، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني ٩٦٨ .

(٢) تحفة الأحوذي ٦/ ١٥٤ .

(٣) التعاريف ١/ ٢٢٤.

(٤) الألفاظ المؤتلفة ١/ ٢١٢ .

فليكافئ به نظير هذا الفعل وهذا الصنيع[١] فإن فعل ذلك أحرى بزرع بذور المحبة والمودة بين القلوب، وتقديراً وتعبيراً عما يكنه لأخيه نظير فعله، وهذا الفعل يكون من دون طلب؛ لأنه إن كان بطلب من المسدي كان أجرةً، وخرج من دائرة الجميل والمعروف؛ فإن لم يكن له سَعةٌ من مال فليجاز بذكره الحسن على المعطي، ولا يجوز له كتمان نعمته[٢].

«فَمَنْ أَثْنَى فَقَدْ شَكَرَ» صنيع المعطي بالقول الحسن وفيه دليل على أن الثناء من شكر الصنيع الحسن، وفي رواية أخرى يقول ﷺ: «مَنْ أُبْلِيَ بَلَاءً فَذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ»[٣].

فإن لم يذكر الصنيع وقدره للصانع فإنه بذلك يكون قد جحده وكفر به بترك أداء حقه[٤]، ثم يحذرنا ﷺ من خصلة ذميمة من تزين وتباهى بما لم يعطه وتزين بشعار الزهاد وليس منهم فمثله كمثل من كذب مرتين أو أظهر شيئين كاذبين؛ فهو كالكاذب القائل ما لم يكن.... **قال الإمام المناوي**: (كمن لبس قميصاً وصل كمه بكمين آخرين موهماً أنه لابس قميصين، فهو كالكاذب القائل

---

(١) فيض القدير ٦/ ٧٥، وانظر: تحفة الأحوذي ٦/ ١٥٤، وعون المعبود ١٣/ ١١٥، والتيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٤٠٢، ومرقاة المفاتيح ٦/ ١٩٢.

(٢) فيض القدير ٦/ ٧٥، وانظر: تحفة الأحوذي ٦/ ١٥٤، وعون المعبود ١٣/ ١١٥، والتيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٤٠٢، ومرقاة المفاتيح ٦/ ١٩٢.

(٣) حديث صحيح، انظر: صحيح سنن أبو داود للألباني ٤٨١٤.

(٤) فيض القدير ٦/ ٧٥، وانظر: تحفة الأحوذي ٦/ ١٥٤، وعون المعبود ١٣/ ١١٥، والتيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٤٠٢، ومرقاة المفاتيح ٦/ ١٩٢.

ما لم يكن، وقيل شبه بالثوبين أن المتحلي كذب كذبتين فوصف نفسه بصفة ليست فيه ووصف غيره بأنه خصه بصلة)[١].

فعلى من أُسدي إليه معروفٌ أو أُعطي عطاءً أن يكافيءَ من أسداه إليه، وإلا فليقل له: «جزاك الله خيراً» فإن النعم لا تستجلَب زيادتها ولا تدفع الآفات عنها إلا بالشكر لله ـ جل وعلا ـ ثم لمن أسداها إليه، وما استَغْنَى أحدٌ عن شُكْرِ أَحَدٍ.

ما يرشد إليه الحديث:

١ـ الحث على البذل والعطاء والسخاء والتحذير من الكتمان والأثرة.

٢ـ تشبيه المعنوي بالمحسوس من فصاحتهﷺ وبلاغته وحسن بيان ذلك أدعى أن يرتكز في الأذهان ويتراءى للعيان.

---

(١) فيض القدير ٦/ ٧٥، وانظر: تحفة الأحوذي ٦/ ١٥٤، وعون المعبود ١٣/ ١١٥، والتيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٤٠٢، ومرقاة المفاتيح ٦/ ١٩٢.

٣٩ الحديث التاسع والثلاثون

وُجُوب إِخْلَاص العَمَل لله

عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ ـ رضي الله عنهما ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَعْطَى للهِ وَمَنَعَ للهِ وَأَحَبَّ للهِ وَأَبْغَضَ للهِ وَأَنْكَحَ للهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ»[1].

التعريف براوي الحديث:

«سَهْلُ بْنُ مُعَاذِ بْنُ أَنَسٍ الْجُهَنِيُّ نزل بمصرَ، وقد روى عن أبيه وله صحبة، وروى عنه إسماعيل بن يحيى المعافري، وثور بن يزيد الرحْبِي الحِمْصي، وخير بن نعيم الحضرمي، وزَبَّان، وهو خير من نزل بمصر»[2].

لغة الحديث:

أعطى لله: أي أعطى صدقة أو غيرها طلباً لثواب الله ورضاه لا لرياء ولا سمعة، أي لأجله ولوجهه مخلصاً لا لميل قلبه ولا لهواه.

مَنَعَ: منع الشيء إذا حال بينه وبين مقصوده[3]، ومعنى منع لله أي لأمر الله؛ كأن لم يصرف الزكاة لكافر لخسته ولا لهاشمي لشرفه بل لمنع الله لهما منها[4].

أحب لله: «أصل المحبة المحمودة التي أمر الله بها، وخلق خَلْقَهُ لأجلها،

---

(١) حديث حسن، انظر: المسند للإمام أحمد ١٥١٩٠، والحاكم في المستدرك ١/ ٦١، والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ٤٧، وعون المعبود ١٢/ ٤٣٨، وصحيح سنن الترمذي للألباني ٢٥٢١، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني ٣٠٢٨ .

(٢) تهذيب الكمال ١٢/ ٢٠٨، وانظر: معرفة الثقات ١/ ٤٤٠.

(٣) المطلع على أبواب المقنع ١/ ٤١٠، وعون المعبود ١٢/ ٤٣٨.

(٤) عون المعبود ١٢/ ٤٣٨.

هي ما في عبادته وحده لا شريك له، إذ العبادة متضمنة لغاية الحب بغاية الذل»[١].

أَبْغَضَ: البغض ضد الحب وبغضه الله إلى الناس تبغيضا فأبغضوه أي مقتوه، والبغضاء شدة البغض والتباغض ضد التحاب[٢]، ومعنى أبغض لله أي لا لإيذاء من أبغضه له بل لكفره ومعصيته[٣]، ومعنى استكمل إيمانَه بالنصب أي أكملَه، وروي بالرفع أي كمُل إيمانُه أو اكتمل إيمانُه[٤].

معنى الحديث:

الإنسان مخلوق لعبادة الله وحده وإقامة شرعه، كل حياته لربه، يرى الله ـ تعالى ـ في جميع أموره، ويخشاه في سره وعلانيته، فإن أراد معه غيره رد الله عمله عليه، وتركه مع من أشركه، قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾[٥] وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[٦]، فالمؤمن الكامل الإيمان يوقن بأن حياته كلها لله، بكل أعماله وتصرفاته وجميع حركاته وسكناته لله رب العالمين ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى

(١) قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ص٦٩، ١٣٣.

(٢) مختار الصحاح ص ٢٤

(٣) عون المعبود ١٢/ ٤٣٨.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ٧/ ١٨٩.

(٥) الكهف: ١١٠.

(٦) رواه مسلم ٢٩٨٥.

وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ (١)، وفي هذا الحديث يبين لنا النبي ﷺ حقيقة «كمال الإيمان» وأوجز ذلك في خمس خصال؛ من يحويها يحوي كمال الإيمان:

الخصلة الأولى: الإعطاء لله (٢) فإن من لم يرد بها أنفق وَجْهَ الله ـ سبحانه ـ لم يُقبل منه ولم تصح نيته بل هو والحال هذه يدخل فيمن وصفهم الرسول ﷺ بأنهم أول من تُسعَّر بهم النار يوم القيامة، يقول النبي ﷺ: «..... وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ، بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ.... الحديث» (٣) فمن صحت نيته نال رضا ربِّه وفاز بجزء من كمال الإيمان.

الخصلة الثانية: المنع لله (٤)، فمن اتقى الله في زكاته وصدقاته وجميع إحسانه إلى إخوانه المسلمين، فلم يضع شيئاً من ذلك في غير موضعه بل فعل ما أمر به وسار على النهج فيما تطوع به فمنع نفسه من إتباع الأهواء والزيغ والشح والأثرة، ابتغاء وجه الله وحده.

الخصلة الثالثة: الحب لله أي لله وحده دون غيره **قال المناوي**: (الحب في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان، ومن لازم الحبِّ في الله حبُّ

---

(١) رواه مسلم ١٠٠٦.

(٢) تحفة الأحوذي ٧/ ١٨١.

(٣) رواه مسلم ١٩٠٥.

(٤) عون المعبود ١٢/ ٢٨٥، وانظر: التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٣٨٧

أنبيائه وأصفيائه ومن شرط محبتهم اقتفاء آثارهم وطاعة أمرهم، قال ابن معاذ (وعلامة الحب في الله ألا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء)[١]، والحب عنصر أصيل في التصور الإسلامي، دليل ذلك قول المولى ـ جلّ وعلا ـ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾[٢].

وقوله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[٣].

وحب الله لعبد من عبيده أمر لا يقدر على إدراك قيمته إلا من عرف الله ـ سبحانه ـ بصفاته، كما وصف نفسه وكما وصفه رسوله، وإلا من وجد إيقاع هذه الصفات في حسه ونفسه وشعوره.

وحب العبد لربه نعمة لهذا العبد لا يدركها إلا من ذاقها. وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمراً هائلاً عظيماً، وفضلاً غامراً جزيلاً، فإن إنعام الله على العبد بهدايته لحبه، وتعريفه هذا المذاق الجميل هو إنعام هائل عظيم[٤].

ومن نعمة الله على عباده المؤمنين أن جعل المحبة فيه هي الوشيجة العظمى بينهم، وهي المورد العذب الذي ينهلون منه جميعاً، ثم جعل سبحانه وجود المحبة للقوم ولما يلحق بهم المحب سبيلاً للحاق بهم يؤيد ذلك قوله ﷺ: «الـمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[٥]. وقال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق

---

(١) فيض القدير ١/ ١٦٧.

(٢) مريم: ٩٦.

(٣) آل عمران: ٣١.

(٤) انظر: في ظلال القرآن سيد قطب ـ رحمه الله ـ بتصرف ٢/ ٩١٨ ـ ٩١٩.

(٥) رواه البخاري ٦١٦٨.

بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «الـمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[١].

على أنه من الواجب ذكره هنا أن هذا الحب ليس مجرد أماني أو أحلام تناقضها الأفعال القبيحة، أو «هرطقة» رقعاء الصوفية أو... أو .. إلخ وإنما هو حب بالقلب وعمل بالجوارح، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[٢].

وقال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣].

قال الحسن البصري: لا تغتر بقولك: المرء مع من أحب إن من أحب قوماً اتبع آثارهم، ولن تلحق الأبرار حتى تتبع آثارهم، وتأخذ بهديهم، وتقتدي بسنتهم، وتمسي وتصبح وأنت على منهاجهم، حريصاً أن تكون منهم، وتسلك سبيلهم وتأخذ طريقهم وإن كنت مقصراً في العمل فإن ملاك الأمر أن تكون على استقامة، أما رأيت اليهود والنصارى وأهل الأهواء الردية يحبون أنبياءهم وليسوا معهم! لأنهم خالفوهم في القول والعمل، وسلكوا غير طريقتهم فصار موردهم النار؟[٤].

الخصلة الرابعة: البغض لله أي من أجل الله أي لبغض الله لا لإيذاء من

---

(١) رواه البخاري ٦١٦٩، و مسلم ٢٦٤٠.

(٢) النساء: ١٢٣.

(٣) آل عمران: ٣١.

(٤) الحكم الجديرة بالإذاعة ص١٣٣.

أبغضه له، بل لكفره ومعصيته[١]، وإلى ذلك أشار الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ: (فإن أحب أحب في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله، ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسوله فيعقد قلبه معه عقداً محكماً على الائتمام والاقتداء به وحده دون كل أحد في الأقوال والأعمال من أقوال القلب، وهي العقائد، وأقوال اللسان وهي الخبر عما في القلب، وأعمال القلب وهي الإرادة والمحبة والكراهة وتوابعها، وأعمال الجوارح فيكون الحاكم عليه في ذلك كله دِقِّه وجُلِّه هو ما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم)[٢].

والخصلة الخامسة: الإنكاح لله قال المناوي: (أي أنكح محبة لله وولاية له وحده ولم يبغ شأناً آخر كأمر من أمور الدنيا من مال أو سلطة أو غير ذلك، بل رضي بمن رضي بمن هو على طاعة الله وتقواه، وإن لم يكن ذا نصيب من الدنيا، فمن جمع هؤلاء وأخلص لله فيهن «فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ») قال الطيبي: (قال بعضهم وجه جعله ذلك استكمالاً للإيمان؛ أن مدار الدين على أربع قواعد: قاعدتان باطنتان وقاعدتان ظاهرتان فالباطنتان الحب والبغض والظاهرتان الفعل والترك فمن استقامت نيته في حبه وبغضه وفعله وتركه لله فقد استكمل مراتب الإيمان)[٣] قال شيخ الإسلام: (فمن فعل ذلك استكمل الإيمان، وصار هذا العبد دينه كله لله، وأتى بما خلق له من العبادة، فقد اتحدت أحكام هذه

---

(١) عون المعبود ١٢/ ٢٨٥

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ١/ ٨.

(٣) فيض القدير ٦/ ٢٩.

الصفات التي له وأسبابها بأحكام صفات الرب وأسبابها، وهم في ذلك على درجات، فإن كان نبياً كان له من الموافقة لله ما ليس لغيره، والمرسلون فوق ذلك، وأولو العزم أعظم، ونبينا محمد له الوسيلة العظمى في كل مقام، فهذه الموافقة هي الاتحاد السائغ سواء كان واجباً أو مستحباً)[1] .

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

٢ ـ هذه الخمس المذكورة ليست للحصر، بل هناك خصال أخرى يزيد معها الإيمان بتحقيقها وينقص بانتفائها.

٣ ـ العمل المقبول له شروط، بانتفائها ينتفي كمال الإيمان.

٤ ـ مطلق الإيمان لا ينتفي عن الله لم يأت بهذه الخصال أو ببعضها.

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ٣٨٩

٤٠ الحديث الأربعون

من أشراط الساعة وأماراتها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ قِيلَ، وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ قَالَ الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»[١].

لغة الحديث:

خَدَّاعَاتٌ : الخِدَاعُ إِنْزَالُ الغَيْرِ عَمّا هو بصَدَدِهِ بأَمْرٍ يُبْدِيهِ على خِلافِ ما يُخْفِيهِ[٢].

التَّافِهُ : الخَسِيسُ القَلِيلُ وقيل التافِهُ هو الحَقِيرُ اليَسِيرُ[٣]

معنى الحديث:

سخر الله الأرض للإنسان ليعمرها، وليقيم العبادة لرب الأرض والسماء فيها ، فهي مطيعة له دوم ما كان هو مطيعاً لله ـ سبحانه وتعالى ـ وبجرم الإنسان وبكسب يده يظهر الفساد فيها، قال ـ تعالى ـ: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[٤]، وكلما تقدم الزمان قلت الخيرية ورَقَّ الإيمانُ في قلوب الناس حتى تقوم الساعة على شرارهم،

---

(١) حديث صحيح رواه الإمام احمد في المسند ٧٨٥٢، وانظر: سنن ابن ماجه للألباني (٤٠٣٦)، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٣٦٥٠،، وانظر: السلسلة الصحيحة ١٨٨٧ .

(٢) تاج العروس ٢٠/ ٤٨٣ .

(٣) أساس البلاغة ١/ ٦٣.

(٤) الروم : ٤١ .

كما قال ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ»[١] ومن علائم ذلك أنه «**سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ**» أي تكثر فيها الأمطار ويقل المَرْبعَ فذلك خداعها؛ لأنها تطمعهم في الخصب بالمطر ثم تُخلف حتى إذا جاءوا الأرض لم يجدوها مربعةً»[٢] فهي تخدعهم لحيدهم عن الطريق المستقيم وبما كسبت أيديهم فلا يستقيم حالها لهم بل تخرج عليهم بما لا يتحسبون؛ وذلك لجرم فعلهم، ومن خداع الأيام لهم أن «**يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ**» فيصدق فيه المرء المعروف بالكذب نفاقا؛ لأن من يفعل ذلك لا يفعله إلا طلباً للدنيا، وسبب ذلك العقاب لأنهم كانوا على الحق فبدلوا ذلك فأصبح الغالب عليهم جميعاً النفاق الذي أصبح مستساغاً بينهم، يقول الإمام ابن مفلح: وقل من رأيناه ينافق أو يرائي أو يتواضع لصاحب دنيا إلا لأجل الدنيا[٣]. «**وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ**» أي يكذب فيها الرجل الصادق لضعفه أو لأجل غيره جحداً ونفاقاً وظلماً هضماً لحقه أو إعانة لغيره، يقول ﷺ: «مَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِظُلْمٍ أَوْ يُعِينُ عَلَى ظُلْمٍ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ»[٤] ومن هذه الخصال قوله ﷺ: «**وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ**» أي تدفع إليه الأمانة مع العلم بخيانته وهي من علامات الساعة، في رواية أخرى للإمام أحمد: «وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَاحُشُ وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ وَسُوءُ الْمُجَاوَرَةِ وَحَتَّى يُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ وَيُخَوَّنَ الْأَمِينُ»[٥]، ومن هذه الخصال قوله ﷺ: «**وَيُخَوَّنُ فِيهَا**

(١) رواه مسلم ٢٩٤٩ .

(٢) شرح سنن ابن ماجه ١/ ٢٩٢ .

(٣) الآداب الشرعية ١/ ٢٤١ .

(٤) شرح سنن ابن ماجه ١/ ٢٩٢ .

(٥) المسند للإمام أحمد ٢٧٧٥٧ .

الْأَمِينُ » أي لا تدفع إليه الأمانة ليس لخيانته بل لأمانته المقترنة بالمانع كالضعف وعدم السلطة أو لأمانته في دينه فلا يرائي ولا ينافق ويقول الحق ولا يخشى فيه لومة لائم، وآخر هذه الخصال قوله ﷺ: «وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ قِيلَ وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ قَالَ الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ» والرويبضة تصغير رابضة وهو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور وقعد عن طلبها[1]، فإذا تولى من هو ليس كفئاً أمراً يخص عامة المسلمين كان سبباً لفساد الدنيا والدين، وقد علق الحافظ ابن رجب بقوله في هذا الحديث يرجع إلى أن الأمور توسد إلى غير أهلها كما قال النبي ﷺ لمن سأله عن الساعة: « إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ»[2]

ما يرشد إليه الحديث:

١ ـ إخبار النبي ﷺ بالأمور التي ستقع تقرير لنبوته وصدق رسالته ﷺ.

٢ ـ وجوب إسناد الأمر إلى من يقوم به خير قيام، ولأهميته عُدَّ من يتولى أمراً من أمور المسلمين وهو ليس له أهلاً من أشراط الساعة.

٣ ـ فضل السابق على اللاحق فيما يخص القيام بعقائد الإسلام وشرائعه.

---

(١) المسند للإمام أحمد ٢٧٧٥٧ .

(٢) رواه البخاري برقم: ٥٩.

فهرس المصادر والمراجع

١ـ أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تأليف: صديق بن حسن القنوجي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٧٨، تحقيق: عبد الجبار زكار.

٢ـ إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تأليف: تقي الدين أبي الفتح، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٣ـ أحكام القرآن، تأليف: أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

٤ـ أحكام القرآن، تأليف: أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٠٥، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.

٥ـ الآداب الشرعية والمنح المرعية، تأليف: الإمام أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام.

٦ـ الأدب المفرد، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، نشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت - ١٤٠٩ - ١٩٨٩، الطبعة: الثالثة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.

٧ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، نشر المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٨ـ أساس البلاغة، تأليف: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر

الخوارزمي الزمخشري، نشر: دار الفكر - ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٩ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تأليف: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، نشر: دار الجيل - بيروت - ١٤١٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي.

١٠ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، تأليف: عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت لبنان - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي.

١١ـ أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، تأليف: الإمام الشيخ محمد بن درويش بن محمد الحوت البيروتي الشافعي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٨ هـ -١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

١٢ـ الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، نشر: دار الجيل - بيروت - ١٤١٢ - ١٩٩٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي.

١٣ـ البداية والنهاية، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، نشر: مكتبة المعارف - بيروت.

١٤ـ تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، نشر: دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين.

١٥ـ التاريخ الكبير، تأليف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي، نشر: دار الفكر، تحقيق: السيد هاشم الندوي.

١٦ـ تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تأليف: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، نشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٥، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري.

١٧ـ تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه)، تأليف: يحيى بن شرف بن مري النووي أبو زكريا، نشر: دار القلم - دمشق - ١٤٠٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الغني الدقر.

١٨ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، تأليف: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

١٩ـ التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، نشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

٢٠ـ تفسير القرآن العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، نشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠١ .

٢١ـ تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تأليف: محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن يصل الأزدي الحميدي، نشر: مكتبة السنة - القاهرة - مصر - ١٤١٥ - ١٩٩٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: الدكتورة : زبيدة محمد سعيد عبد العزيز.

٢٢ـ تمام المنة في التعليق على فقه السنة، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي ، دار الراية للنشر، ١٤٠٩هـ.

٢٣ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، نشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية -

المغرب - ١٣٨٧، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري.

٢٤ـ تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، نشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٣٨٩ - ١٩٦٩.

٢٥ـ تهذيب التهذيب، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، نشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٤ - ١٩٨٤، الطبعة: الأولى.

٢٦ـ تهذيب الكمال، تأليف: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٠ - ١٩٨٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. بشار عواد معروف.

٢٧ـ التوقيف على مهمات التعاريف، تأليف: محمد عبد الرؤوف المناوي، نشر: دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق - ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

٢٨ـ التيسير بشرح الجامع الصغير، تأليف: الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، نشر: مكتبة الإمام الشافعي - الرياض - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الطبعة: الثالثة.

٢٩ـ الثقات، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، نشر: دار الفكر - ١٣٩٥ - ١٩٧٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد.

٣٠ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، نشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥.

٣١ـ الجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، نشر: دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

٣٢ـ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تأليف: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، الطبعة: السابعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس.

٣٣ـ الجرح والتعديل، تأليف: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٢٧١ - ١٩٥٢، الطبعة: الأولى.

٣٤ـ حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، تأليف: علي الصعيدي العدوي المالكي، نشر: دار الفكر - بيروت - ١٤١٢، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي.

٣٥ـ الحكم الجديرة بالإذاعة، من قول النبي ﷺ (بعثت بالسيف بين يدي الساعة» تأليف ابن رجب ـ تحقيق محمد حامد الفقي.

٣٦ـ دقائق المنهاج، تأليف: محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، نشر: دار ابن حزم - بيروت - ١٩٩٦، تحقيق: إياد أحمد الغوج.

٣٧ـ الديباج على مسلم، تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، نشر: دار ابن عفان - الخبر-السعودية - ١٤١٦ - ١٩٩٦، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري.

٣٨ـ روضة الطالبين وعمدة المفتين، تأليف: النووي، نشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الثانية.

٣٩ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٢ - ١٩٩٢.

٤٠ـ رياض الصالحين، للإمام النووي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

٤١ـ الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تأليف: محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي أبو منصور، نشر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت - ١٣٩٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد جبر الألفي.

٤٢ـ سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تأليف: محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٧٩، الطبعة: الرابعة، تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي.

٤٣ـ السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتبة المعارف بالرياض.

٤٤ـ سنن ابن ماجه، تأليف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، نشر: دار الفكر - بيروت - -، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٤٥ـ سنن الدارمي، تأليف: عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، نشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي.

٤٦ـ السنن الكبرى، تأليف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، نشر: دار

الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ - ١٩٩١، الطبعة: الأولى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، وسيد كسروي حسن.

٤٧ـ سير أعلام النبلاء، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٣، الطبعة: التاسعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي.

٤٨ـ شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تأليف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١، الطبعة: الأولى.

٤٩ـ شرح السيوطي لسنن النسائي، تأليف: السيوطي، نشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.

٥٠ـ شرح مختصر الروضة للطوفي، نشر مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، بيروت ـ لبنان.

٥١ـ شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى، تأليف: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، نشر: عالم الكتب - بيروت - ١٩٩٦، الطبعة: الثانية.

٥٢ـ صحيح الترغيب والترهيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتبة المعارف، الطبعة الخامسة.

٥٣ـ صحيح مسلم بشرح النووي، تأليف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢، الطبعة: الطبعة

الثانية.

٥٤ـ صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٥٥ـ صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي.

٥٦ـ صفة الصفوة، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، نشر: دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٩ - ١٩٧٩، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي.

٥٧ـ طبقات الشافعية، تأليف: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، نشر: عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان.

٥٨ـ ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم ،تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، نشر المكتب الإسلامي بيروت ١٩٩٣م ـ ١٤١٣هـ.

٥٩ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٦٠ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود، تأليف: محمد شمس الحق العظيم آبادي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥م، الطبعة: الثانية.

٦١ـ غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، نشر المكتب الإسلامي بيروت، ١٤٠٥هـ.

٦٢ـ غريب الحديث، تأليف: إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، نشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٤٠٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد.

٦٣ـ غريب الحديث، تأليف: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٥ - ١٩٨٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي.

٦٤ـ غريب الحديث، تأليف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان، نشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٤٠٢، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي.

٦٥ـ الفائق في غريب الحديث، تأليف: محمود بن عمر الزمخشري، نشر: دار المعرفة - لبنان، الطبعة: الثانية، تحقيق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم.

٦٦ـ الفتاوى الكبرى الفقهية، تأليف: ابن حجر الهيتمي، نشر: دار الفكر.

٦٧ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، نشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.

٦٨ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، نشر: دار الفكر - بيروت.

٦٩ـ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، تأليف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، نشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت - ١٩٧٧،

الطبعة: الثانية.

٧٠ـ الفروع وتصحيح الفروع، تأليف: محمد بن مفلح المقدسي أبو عبد الله، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: أبو الزهراء حازم القاضي.

٧١ـ الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، تأليف: أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي، نشر: دار الفكر - بيروت - ١٤١٥.

٧٢ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف: عبد الرؤوف المناوي، نشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٣٥٦هـ، الطبعة: الأولى.

٧٣ـ قاعدة في المحبة، تأليف: شيخ الإسلام ومفتي الأنام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، نشر دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان.

٧٤ـ القاموس المحيط، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

٧٥ـ كتاب الكبائر وتنبيه المحارم للإمام الذهبي، تحقيق محيي الدين مستو، نشر دار ابن كثير ـ دمشق وبيروت.

٧٦ـ كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، نشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.

٧٧ـ كشاف القناع عن متن الإقناع، تأليف: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، نشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٢، تحقيق: هلال مصيلحي

ومصطفى هلال.
٧٨ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي،، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت لبنان.
٧٩ـ كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني، تأليف: أبو الحسن المالكي، نشر: دار الفكر - بيروت - ١٤١٢، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي.
٨٠ـ الكلم الطيب لمحمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٧م.
٨١ـ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تأليف: أبو البقاء أيوب ابن موسى الحسيني الكفومي، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. ، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري.
٨٢ـ لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، نشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى.
٨٣ـ اللمعة في خصائص الجمعة، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.
٨٤ـ المبدع في شرح المقنع، تأليف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح الحنبلي أبو إسحاق، نشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٠.
٨٥ـ مختار الصحاح، تأليف: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، نشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥، الطبعة: طبعة جديدة، تحقيق:

محمود خاطر.

٨٦ـ مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، تأليف: بدر الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحنبلي البعلي، نشر: دار ابن القيم - الدمام - السعودية - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي.

٨٧ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تأليف: علي بن سلطان محمد القاري، نشر: دار الكتب العلمية - لبنان بيروت - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: جمال عيتاني.

٨٨ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، نشر: مؤسسة قرطبة - مصر.

٨٩ـ مشارق الأنوار على صحاح الآثار، تأليف: القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، نشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.

٩٠ـ مشكاة المصابيح ، تأليف: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، نشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٩٨٥، الطبعة: الثالثة ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

٩١ـ مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، تأليف: مصطفى السيوطي الرحيباني، نشر: المكتب الإسلامي - دمشق - ١٩٦١م.

٩٢ـ المطلع على أبواب الفقه / المطلع على أبواب المقنع، تأليف: محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي أبو عبد الله، نشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠١ - ١٩٨١، تحقيق: محمد بشير الإدلبي.

٩٣ـ المعجم الأوسط، تأليف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، نشر: دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

٩٤ـ المعجم الوسيط (١+٢)، تأليف: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، نشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

٩٥ـ المغني في الضعفاء، تأليف: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر.

٩٦ـ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٩٧ـ المنهاج القويم شرح المقدمة الحضرمية، تأليف: الهيتمي.

٩٨ـ موطأ الإمام مالك، تأليف: مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، نشر: دار إحياء التراث العربي - مصر - -، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٩٩ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥، الطبعة: الأولى.

١٠٠ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، نشر: المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي.

١٠١ـ نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، نشر: دار الجيل - بيروت - ١٩٧٣.

أحاديث الخمس خصال مرتبة معجمياً

رقم الحديث	لفظ الحديث	عنوان الحديث	رقم الصفحة
٩	إن يـوم الجمعـة سـيد الأيـام وأعظمها عند الله ... فيه خمس خلال ...	من فضائل يوم الجمعة	٤٥ ـ ٤٨
٣٥	إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ...	أسس عقيدة الإسلام وشرائعه	١٦٠ ـ ١٦٣
١٤	أهل النار خمسة ...	من صفات أهل النار ودار البوار	٦٧ ـ ٧١
١٨	بخٍ بخٍ خمس ما أثقلهن في الميزان!	ما يثقل الميزان ويرضي الرحمن	٨٦ ـ ٨٨
١٧	بخٍ بخٍ لخمس	ما يدخل العبد الجنة.	٨٢ ـ ٨٥
١	بني الإسلام على خمس	أركان الإسلام	٦ ـ ١٠
٢٣	خمس بخمس: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم...	التحذير من مخالفة أمر الله ـ تعالى ـ	١١٠ ـ ١١٣
١٦	خمس ليس لهن كفارة	ذنوب لا يكفرها إلا التوبة	٧٧ ـ ٨١
١٣	خمس من الدواب لا حرج على من قتلهن	وجوب دفع الضرر وقتل المؤذي	٦٤ ـ ٦٦

رقم الحديث	لفظ الحديث	عنوان الحديث	رقم الصفحة
٢	خمس من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة	فضل الإيمان والتلازم بينه وبين العمل	١١ـ ١٤
١٩	خمس من عملهن في يوم كتب الله من أهل الجنة ...	خصال تكون سبباً في دخول الجنة	٨٩ـ ٩٢
٣٣	خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...	فضل القرون الأولى على المتأخرة	١٥٢ ـ ١٥٥
٣٧	ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ...	الفرار من الفتن والتحذير من الوقوع فيها	١٦٨ ـ ١٧١
٤٠	سيأتي على الناس سنوات خداعات ...	من أشراط الساعة وأماراتها	١٨٢ ـ ١٨٤
٧	الفطرة خمس	من سنن الفطرة	٣٦ـ ٤٠
٢٢	قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال:	من صفات الله تعالى وعظيم آلائه	١٠٥ ـ ١٠٩
١١	كتب إلى ابن عباس يسأله عن خمس خلال	إجابة السائل والتحذير من كتم العلم	٥٣ـ ٥٨
٢٦	كن ورعاً تكن أعبد الناس	الترغيب في فعل الخير والاتصاف به	١٢٢ ـ ١٢٥

رقم الحديث	لفظ الحديث	عنوان الحديث	رقم الصفحة
٤	لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس	سؤال الله عبده عن كل شيء يوم القيامة	٢٠ـ٢٤
٢٩	لا تناجشوا ولا يبع المرء على بيع أخيه	التحذير مما يوغر الصدور ويفسد المودة	١٣٥ ـ ١٣٩
٣١	لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن	الإيمان يحصن العبد من الوقوع في الموبقات	١٤٤ ـ ١٤٨
١٢	لي خمسة أسماء	أسماء خاتم الأنبياء	٥٩ـ٦٣
٣٢	ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة..	الحث على الزراعة وبيان فضل التصدق من ثمارها	١٤٩ ـ ١٥١
٣٤	ما يكون عندي من خير فلن ادخره عنكم...	فضائل وآداب إسلامية .	١٥٦ ـ ١٥٩
٥	مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ...	الغيب لا يعلمه إلا الله	٢٥ـ٢٩
٣٩	من أعطى لله ومنع لله وأحب لله.	وجوب إخلاص العمل لله.	١٧٥- ١٨١
٣٨	من أعطي عطاء فوجد فليجز به ...	من محاسن التعامل بين المسلمين: المكافأة على المعروف	١٧٢ ـ ١٧٤

رقم الحديث	لفظ الحديث	عنوان الحديث	رقم الصفحة
٢٧	من حلف على ملة غير الإسلام فهو كما قال	محرمات ومحاذير ينبغي اجتنابها	١٢٦ ـ ١٣٠
٢١	وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن .	طاعة الرسول طاعة لله.	٩٩ ـ ١٠٤
١٠	يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن .	التحذير من المعاصي والآثام	٤٩ ـ ٥٢
٣٠	يتقارب الزمان ويقبض العلم.	سرعة انقضاء أيام الدنيا وتقلبها بأهلها	١٤٠ ـ ١٤٣
٣٦	يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد .	كيد الشيطان ووسوسته للإنسان	١٦٤ ـ ١٦٧

فهرس الموضوعات

الموضوع | رقم الصفحة